مغامرات جحا وشركاه

قصص ومغامرات بوليسية فكاهية

١٨

٦ الساحر العجيب

Looloo
www.dvd4arab.com

تأليف
مجدي صابر

الناشر
صيدلاية المحدودة

فالأحداث كلها تدور فى قالب كوميدى طريف لسنا نشك أنه سيعجبك جداً - عزيزى القارئ - وستضحك وتقهقه وأنت تقرأ أحداث هذه القصة وغيرها من قصص هذه السلسلة الجديدة .. مع أبطالك الجدد .

مرة أخرى نقول إنك لن تجد سلسلة مشابهة لتلك السلسلة الجديدة .. فالكوميديا من أصعب أساليب الكتابة .. وبسبب ذلك يهرب أغلب الكتاب والمؤلفين من كتابتها ..

وقد عانينا من أجل كتابة وإصدار هذه المجموعة الجديدة .. ونرجو أن تحوز إعجابك وترسم الابتسامة والسرور على وجهك .. مع محبتنا .

* * *

من هم أبطال هذه السلسلة الجديدة ؟

إنهم ثلاثة أولاد فى مثل عمرك تقريباً .. يعيشون فى قرية صغيرة بالأقصر .. حيث تحيط بهم الآثار المصرية القديمة من كل مكان .. معبد الأقصر .. معبد الكرنك .. طريق الكباش .. الدير البحرى .. وادى الملوك .. وبالإضافة إلى أبطالنا .. ستجد أبطالاً آخرين .. عمدة القرية .. وجدات الأطفال .. وخفراء الحراسة .. والأستاذ « زلطة » المدرس .. وأبطالاً آخرين عديدين .

جمعة ..

جده عمدة القرية .. وعلى يديه ينال عقاباً مستمراً .. والداه متوفيان .. لايرتدى غير الجلباب .. أذناه طويلتان كالأرانب .. وهو ساعة الخطر يجرى أكثر سرعة من الأرانب نفسها .. ولكنه طيب القلب جداً .. وذكاؤه محدود .. ولكن لأنه الأكبر سناً ، فقد صار هو رئيس الفريق .. وتسمى الفريق باسمه .

سالم ..

وسيم .. أنيق جداً .. والده مفتش آثار بالقاهرة وهو يعيش مع والدته وأخته .. نكى جداً .. ولديه معلومات عامة ممتازة .. وهو دائماً يحد من اندفاع صديقيه .

علاء ..

هو الراوى .. وعلى لسانه نستمع إلى أحداث المغامرات .. يعيش مع جدته العجوز .. والداه يعملان فى الخارج .. شديد الشقاوة .. جرىء .. يتحايل على الخروج من المازق العديدة التى يقع فيها مع صديقيه .

سلمى ..

هى أخت سالم .. تصغره بعامين فهى فى التاسعة .. رقيقة جداً .. تميل إلى تدبير المقالب للآخرين .. ولكنها برغم ذلك هادئة .. وحادة الذكاء .

السيرك العجيب

حدث الأمر فى قريتنا فجأة ..

كنا جالسين نصطاد السمك بالسنانير ، أنا وجمعة وسالم منذ الصباح .. دون أن نتمكن من صيد سمكة واحدة ، ولو حتى من نوع « البساريا » !

لم نكن محظوظين ذلك اليوم ، وربما كان ذلك يرجع إلى أن شصوص سنانيرنا لم يكن بها دودة واحدة .. ولا أى نوع من أنواع الطُعم . والسمك على أى حال فيما يبدو لا يحب أن ينتحر فوق شص سنارة ليس بها دودة أو طُعم !

وكدت أذهب بحثاً عن طُعم أو دود لصيد السمك ،

ولكن « جمعة » شرح لى نظريته الخاصة فى صيد السمك قائلاً : إن مهمة السمك فى هذا العالم هى أن يتعلق بسنانير الأولاد المهذبين - نحن طبعاً - والأمر ليس فى حاجة منا إلى إغراء أو مكافأة هذا السمك بأن نضع له دودة أو طعمًا من أجل أن يتعلق بسنانيرنا !

وهكذا ألقينا بالسنانير فى الماء منتظرين أن يبدأ السمك بممارسة مهمته الوحيدة فى هذا العالم بالتعلق بسنانيرنا لنصطاده ، ولكن يبدو أن السمك كان مشغولاً هذا الصباح بأعمال أخرى ، فلم ينتبه إلى سنانيرنا ، وهكذا ظلت شصوصها تتأرجح فى قلب نهر « النيل » ، دون أن تصطاد حتى سمكة ميتة !

وفجأة علق شىء بشص سنارتى ، فقفزت صارخاً من الفرحة قائلا : لقد اصطدت سمكة كبيرة جداً .

ورحت أحاول جذب السنارة دون جدوى ، فقد كانت السمكة أكبر مما تصورت ، فصرخت فى

« جمعة » و « سالم » : ساعدانى .. يبدو أننى اصطدت حوتاً !

فاندفعا نحوى لاهثين ، وراحا يجذبان معى السنارة بصيدها الثقيل ، وجذبناها جذبة قوية نحن الثلاثة ، فارتفعت السنارة بصيدها الثمين من قلب الماء ، واصطدم الصيد بوجوهنا فى عنف .. وفى نفس اللحظة صرخنا فى رعب ، وقفزنا إلى الوراء متحاشين ذلك الشىء الذى اصطادته سنارتى .

كان ما صدناه جثة كلب ميت !

وكان الكلب الميت منتفخاً وقد فتح فكه عن آخره ، كأنه كان ينوى عقر شخص ما ، لولا أن الموت فاجأه فى نفس اللحظة ، وهو شىء مؤلم أن يموت كلب فى هذا العالم ، دون أن يتمكن من تحقيق رغبته الأخيرة !

ورحنا نرتعد من منظر الجيفة ، حتى أن سالم كاد يتقيأ - يالرقته !! - على حين أعرف أشخاصاً شاهدوا جثة حمار ميت فى النيل ، ثم ذهبوا لتناول عشائهم فى اللحظة التالية !!

قال « جمعة » فى غضب : من ذلك الأحمق الغبى الذى ألقى بهذه الجيفة داخل النهر .. ألا يعرف أن الناس تشرب من النيل ، وأن مثل هذه الأشياء تلوّث ماء النهر وتتسبب فى الأمراض ؟

قلت له شارحاً : لعل أحداً لم يلق بهذا الكلب الميت فى النهر ، ولكن الكلب هو الذى ألقى بنفسه فى النهر منتحراً !!

ظهرت الدهشة على وجه جمعة وحك قفاه دلالة على حيرته الشديدة ، ورقصت أذناه مثل أجنحة الخفافيش وقال : ولكن لماذا ينتحر أى كلب ؟

أجبته بلهجة الخبير : لعله ضاق بهذه الحياة وكثرة مطالبها .. أو ربما جلس مثلنا يصطاد السمك طول النهار دون أن يصيد شيئاً ، فآثر أن يلقى بنفسه إلى النهر منتحراً ، على أن يواجه العالم بهذا الفشل !!

حملق « جمعة » فىّ برعب ، وقلت أشرح له نظرية جديدة فى تفسير أمر تلك الجيفة : وربما حاول شخص ما أن يستخدم ذلك الكلب الميت فى

صيد السمك ، فألقاه فى النهر بعد أن ثبته فى شص سنارته !

اتسعت عينا جمعة بدهشة وقال : وأى سمكة يمكنها التهام مثل هذا الكلب الميت الكبير الحجم ؟

أجبته أنا : ليس أقل من حوت !

واستعاد « سالم » رباطة جأشه ، وتحاشى النظر إلى جيفة الكلب الميت وقال : دعونا نغادر هذا المكان .. أنا لا أحتمل البقاء مع هذه الجيفة فى مكان واحد !

وتعجبت أنا لذلك ، إذ أننى أعرف أشخاصاً يسكنون القبور ويعيشون بجوار الموتى دون أن يقلقوا من ذلك ، وحتى الموتى يبدو أن الأمر ليس مقلقاً لهم أيضاً .. فهل سمع أحدكم عن ميت خرج من قبره ليقول لشخص ما يعيش بجواره : أرجوك ابتعد عن هذا المكان .. فإن وجودك بالقرب منى يقلق راحتى الأبدية ؟

ولكننا تحركنا مبتعدين عن شجرة التين العجوز ، حاملين سنانيرنا بعد أن خلصناها من جيفة الكلب

الميت ، الذى قام « جمعة » بدفنه فى حفرة قريبة ووضع علامة فوق الحفرة ، كأنما ذلك الكلب قريب له ، ينوى زيارته فى يوم من الأيام ليضع باقة من العظم فوق قبره دلالة على الوفاء !!

وما كدنا نخطو بضع خطوات حتى توقفنا مندهشين وقد شاهدنا أعجب منظر يمكن أن تقع عليه عين إنسان ..

ماذا تظنون قد رأينا ؟

إنه « السيرك » !!

كان أعجب « سيرك » رأيناه فى حياتنا .

والآن دعونى أصف لكم هذا « السيرك » عندما شاهدناه أول مرة ذلك اليوم !

كان يتقدم « السيرك » قرد صغير ، قد ارتدى بذلة حمراء مخططة بألوان زرقاء وصفراء ، ووضع فوق رأسه قبعة سوداء وفى يديه قفازان ، دون أن يرتدى حذاء فى قدميه ! وقد تدلى من حزام حول رأسه إلى بطنه ، طبلة كبيرة استندت على

كان يتقدم السيرك قرد صغير يدق فوق الطبلة

صدره ، وراح القرد يدق فوق الطبلة بيديه ، دقات منغمة عجيبة .

وأمـــام القـــرد سار كلب صغيـــر من نوع « الكانيش » الغزير الشعر ، وقد ربط فوق رأسه فيونكة حمراء .. وقد ارتدى حول وسطه قميصاً أصفر ، أما ذيله فعلقت به عدد من الشرائط الزرقاء مثل التى تضعها الفتيات الصغيرات حول شعرهن .. وقد راح الكلب يسير فى تؤدة وخيلاء ، كأنه قائد عظيم يتقدم صفوف جيوشه المنتصرة !

وفى الخلف كان يسير حصان عجوز هزيل شديد النحافة كأنه كلب أجرب ، يبدو عليه التعب الشديد ، كأنه قد سافر من « البرازيل » إلى « الأقصر » سيراً على الأقدام فقطع المسافة فى ليلتين متعاقبتين دون أى راحة !

وكان الحصان يجر عربة تشبه عربات الكارو ، غير أنها كانت مغطاة بسقف وحوائط من الخشب والقماش ، وقد كُتب على جانبيها عبارة « سيرك الساحر العجيب » .. دون أن يظهر هذا الساحر ،

كأنـه قد تبخر فى الهواء[1] ، وينتظـر اللحظـة المناسبة ليعود إلى حالته الطبيعية مثلنا !

والأكثر غرابة أن الحصان لم يكن له لجام .. بل كان يبدو كأنه يعرف طريقه وحده دون أن يرشده إليه شخص ما .. وحتى الكلب والقرد كانا يمارسان عملهما دون أى توجيه ، ومن المؤكد أن صاحب هذا « السيـرك » ساحـر من نوع خاص لاتجـرؤ الحيوانات على مخالفة أوامره !

وما كاد « السيرك » يدخل إلى قلب قريتنا ، حتى اندفع سكانها نحوه فى لهفة وإثارة .

حتى العمدة جاء مهرولاً ومعه خفراؤه .. وجدتى أيضاً جاءت وهـى تصيـح : أيـــن هو هذا « السيرك » .. دعونى أراه فإننى لم أشاهد سيركاً منذ زمن !

هذا بالرغم من أن بصر جدتى كان لايساعدها فى تمييز الشىء الذى تعثرت به ، إذا ماكان حجراً أم كلباً نائماً ..

(١) راجعوا دروس التبخر والتجمد !

ولكن إذا عضها الكلب أمكنها تمييزه على الفور !!

التففنا جميعاً حول « السيرك » فى حلقة كبيرة وقد اتسعت عيوننا دهشة وإعجاباً لما شاهدناه يحدث فى اللحظة التالية .

ماذا تظنون قد حدث ؟

لقد بدأ عرض السيرك فى اللحظة التالية .. ومن قبل ظهور صاحبه الساحر العجيب !

فقد بدأت حيوانات السيرك العرض ، إذ أنها كانت تبدو حيوانات منضبطة تماماً ، عكس بعض الناس هذه الأيام ، فقد ترك القرد الطبلة وقفز فوق ظهر الحصان ، وحل القيود التى تصله بالعربة فصار الحصان حراً . وعندما أعطى القرد إشارة البدء ، راح الحصان يتراقص على أنغام طبلة القرد وهو يصهل صهيلاً منظماً .. أشبه بصوت مطرب سمعته منذ أيام قليلة كانوا يقولون أنه حاصل على جائزة « الحزام الذهبى » فى الغناء .. فقد كان مصارعاً فى الأصل !

ألقى القرد الأطواق الخشبية حول رقبة الحصان

وقياساً ، فإن هذا الحصان يمكن أن يحصل فى الغناء على جائزة « اللجام الذهبى » أيضاً !!

أما الكلب فراح يسير على قدميه الخلفيتين رافعاً قائمتيه الأماميتين للأمام كما لو كان سيداً وقوراً يعبر الطريق !

صفق جمعة بيديه فى حماس شديد وهو يقول : ياله من سيرك رائع ، أتمنى لو أصبح لى سيرك مثله فى المستقبل !

وأتى القرد ببعض الأطواق الخشبية من داخل العربة ثم ألقاها على الأرض ، وأخفى عينى الكلب برباط ملون ، ولكن الكلب راح يقفز داخل الأطواق الخشبية دون أن يخطئها . وبعدها أخفى القرد عينيه بنفس الرباط الملون ، وراح يلقى بالأطواق الخشبية فى الهواء ، ومن العجب أنها كانت كلها تسقط حول رقبة الحصان ، كما لو أن بها مغناطيساً يجذبها إليها ، دون أن يخطىء القرد العجيب مرة واحدة !

ثم حدث ما هو أعجب كثيراً ..

فقد أحضر القرد من داخل العربة علبة كبيرة

فتحها ، فشاهدنا فيها أرقاماً خشبية مكررة .. من واحد حتى عشرة .

وعندما أشار القرد نحو العمدة أسرع الكلب بالتقاط رقمين من العلبة وألقاهما على الأرض .. كان الرقمان هما ستة وبجوارها واحد .. ولم نفهم معنى ذلك الرقم الجديد وهو واحد وستون . ولكن عندما أشار القردنحوى ، التقط الكلب رقم واحد ووضعه على الأرض ، ثم عاد والتقط رقم واحد ووضعه بجواره فصار الاثنان يمثلان رقم (١١) .

ولأن سالم هو أسبقنا دائماً فى استخدام ذكائه وقدرته البارعة على الاستنتاج ، فقد صاح مذهولا : إن هذا الكلب يعرف عمر كل شخص ويعلن عن ذلك بالأرقام !

صاح الواقفون مذهولين . فقال : إذ كان عمرى أحد عشر عاماً بالفعل .. وكان عمر العمدة هو واحد وستون عاماً بالضبط !!

وحملقنا فى الكلب مذهولين .. ثم تراجعنا للخلف فى تلقائية .. ربما خوفاً أو احتراماً ، فقد كان ما

يفعله الكلب يؤكد أنه ليس كلباً عادياً .. بل ربما كان كلباً مسحوراً !!

وفوجئنا بسلمى تتقدم نحو الكلب قائلة له : وأنا .. ما عمرى أيها الكلب ؟

فحدق فيها الكلب لحظة كأنما أعجب بها ، ثم نبح نباحاً خافتاً وألقى نظرة إلى عربة السيرك ، وبعدها انطلق نحو صندوق الأرقام .. واختار الرقم ٩ وحده !

وتعالى الهتاف والصياح .. كان اختيار الكلب صحيحاً مما يدل على أنه كلب شديد الذكاء والفراسة !

وانتهز القرد الفرصة وأمسك بعلبة كبيرة راح يدور بها على الواقفين ليجمع منهم ما يجودون به .. وعلى الفور اختفى نصف الواقفين وهى عادة سيئة لكثير من الناس . ففى كل مكان فى هذا العالم وليس فى قريتنا فقط .. ستجد ناساً يختفون على الفور ، إذا ما تعلق الأمر بدفع النقود !

وقبل أن يختفى العمدة تماماً ، أمسك به القرد من

ذيل جلبابه وهو يمد له يده بالعلبة ، فارتبك العمدة وخشى أن يظن الواقفون أنه بخيل ، فوضع يده فى جيبه وأخرج مليماً أسقطه داخل العلبة .. فى حين أن الحكومة قد ألغت التعامل بالملاليم منذ أعوام طويلة !

أما جدتى فمن شدة حماسها فقد أخرجت من جيبها جنيهاً كاملاً أعطته إلى القرد .. وهنا نبح الكلب مسروراً .. واندفع إلى علبة الأرقام واختار منها رقمى صفر وسبعة وألقاهما على الأرض مكوناً رقم(٧٠) . وكان لذلك دلالة واضحة عن عمر جدتى ، ولكن جدتى صرخت غاضبة : أيها الكلب الغبى .. كيف تدعى أن عمرى سبعون عاماً .. فى حين أننى لم أتم الخمسين بعد !

ثم اندفعت إلى الكلب تلطمه بحقيبة يدها فوق رأسه فقهقه الواقفون .

وتهامس بعض الخبثاء قائلين أن الكلب قد كشف عمر جدتى الحقيقى .. فإذا كان أبى عمره خمسون عاماً ، فمعنى ذلك أن تكون جدتى هى عمتى ، لأنها

ستكون أخت أبى وليست بوالدته ، مادام عمرها هو نفس عمر أبى !

ولكن هكذا الجدات فى كل زمان ومكان .. صادقات فى كل شىء .. عدا حكايتهن عن الماضى .. وعمرهن أيضاً !!

إذ إن الجدات يخشين من الحسد فيما يبدو إذا ذكرن عمرهن الحقيقى !!

وكدنا ننصرف عن المكان وقد تمتعنا برؤية ذلك السيرك المدهش ، لولا أن القرد أسرع إلى طبلته وعلقها حول صدره ، واكتست ملامحه بالجدية الشديدة ، كما لو كان مسئولاً سيلقى بياناً .. ثم راح يدق فوق الطبلة دقاً عنيفاً سريعاً .. كأنه يعطى إشارة البدء لحدث خطير سيحدث بعد قليل .. فجمدنا فى أماكننا وقد احتبست أنفاسنا ..

وفى اللحظة التالية حدث ذلك الأمر الخطير ..

فقد ظهر الساحر العجيب ..

ولكنه لم يكن مثل أى ساحر آخر شاهدناه فى أى سيرك ..

كان ذلك الساحر .. ساحراً هندياً يبدو قادراً على أن يفعل أى شىء فى العالم !!

* * *

الساحر الهندى العظيم

كان أعجب ساحر هندى شاهدناه فى حياتنا فقد كانت له عمامة كبيرة خضراء ، حولها عقود من الخرز الملون كأنها تاج . كما كان ذلك الساحر يرتدى جلباباً واسعاً أحمر اللون . وكانت له عينان واسعتان سوداوان مثل عيون « البوم » يخشى الإنسان من النظر إليهما .. كما كان له حاجبان كثيفان ولحية طويلة سوداء .. وشارب كبير مفتول !

أما الشيء الأكثر إثارة ، فهو البلورة السحرية التى كان الساحر الهندى يمسك بها بين أصابعه !

بلورة مستديرة مثل كرة لامعة من الزجاج كان منظرها مهيباً ومخيفاً فى نفس الوقت .

وقفنا نحدق فى الساحر الهندى لحظة فى ذهول للمفاجأة وقد تصاعدت أنفاسنا فى إثارة بالغة .

وفى صوت مهيب قال الساحر الهندى : مرحباً بكم .. إننى أدعى « راجا » الساحر الهندى العظيم !

لم نستطع أن ننطق لشدة الإثارة ، ولكن جدتى احتدت على الساحر الهندى قائلة : كيف تدعى أنك ساحر هندى ، وأنت تتحدث اللغة العربية مثلنا ؟

أجابها الساحر الهندى دون أن تطرف عيناه : وماذا فى ذلك .. إن الساحر يستطيع أن يفعل ما لايقدر أن يفعله الآخرون !

وأشار بيده نحو جدتى وألقى بقطعة حبل صغير تحت قدميها ، وفى الحال صرخت جدتى هلعاً ، إذ شاهدت فى نفس اللحظة قطعة الحبل تتحول إلى ثعبان كبير التف حول ساقيها .. فاندفعت هاربة بأقصى سرعتها والثعبان يزحف فى أثرها ، كما لو كان كلباً أليفاً مخلصاً يتبع سيدته !!

صرخنا خوفاً وكدنا نندفع هاربين أيضاً ، لولا أن الساحر أوقفنا بإشارة من يده قائلاً : لاتخشوا شيئاً .. لن يؤذيكم الثعبان .

وأشار بيده مرة أخرى ، فاختفى الثعبان فى الحال وتحول مرة أخرى إلى قطعة من الحبال ، على حين ظلت جدتى تواصل جريها صارخة تستنجد بالشرطة والإسعاف وخفراء العمدة .. فى الوقت الذى كان فيه نصف خفراء العمدة قد سقطوا فاقدى الوعى لما حدث .. والنصف الآخر انطلق هارباً بسرعة تسبق المكوك الفضائى الأمريكى !!

وقال الساحر الهندى فى صوت مهيب : لاتخشوا شيئاً ، فإننى لم أجىء لإيذائكم ، بل لأكشف لكم الماضى والحاضر !!

وحدّق فينا بعينين مخيفتين ثم قال : إننى صديق لاعدو .. ولكن من سوف يتشكك فى قدراتى ويحاول السخرية منى ، فسوف يكون عقابى له قاسياً .

وأشار بيده فى غضب وقد تألقت عيناه كجمرتين

من نار ، وفى الحال اندلعت نار هائلة خلفنا ، ثم اختفت فى لحظة خاطفة بعد أن أحسسنا بلفحها يكاد يشوينا شياً !!

كانت ناراً أقسى من النار التى شبت فى حظيرة العمدة يوم أن احترقت فى مغامرتنا[1] الثانية .

ووقفنا نرتجف هلعاً .. حتى أن العمدة راح يهتز مثل ورقة شجر فى عاصفة ، فأسرعنا نمسكه قبل أن يسقط على الأرض هلعاً !

أما « سلمى » فراحت تنظر إلى الساحر الهندى بعينين واسعتين مذهولتين . وكانت تبدو جميلة ورائعة على أى صورة . فأشار لها الساحر الهندى قائلاً : أنت أيتها الصغيرة .. تعالى .

فصرخت أنا بلا وعى وقد خشيت عليها من ألاعيب هذا الساحر : لاتذهبى يا « سلمى » !

ولكنها تحركت نحو الساحر دون أن تلتفت إلى .. على حين نظر الساحر نحوى غاضباً كأنه يفكر فى عقابى بطريقة خاصة ، إذ ربما يرسل « غراباً » من

(١) مغامرة سر الغفير الآلى .

نوع خاص يختطفنى ويلقينى إلى « وادى الحيات » ، حيث تظل تلك الحيات تطاردنى حتى نهاية عمرى ، دون أن يأتى الرخ[1] الذى أنقذ « سندباد » لالتقاطى من ذلك الوادى .

وقفت « سلمى » أمام الساحر الذى وضع كفيه حول بلورته المسحورة ، فالتمعت بضوء قوى وتوهجت بشدة ، فارتعدنا أكثر ، أما الساحر فألقى نظرة إلى البلورة ثم حدق فى « سلمى » وقال : إن اسمك هو « سلمى سلامة سليم » . وعمرك تسع سنوات . والدك مفتش آثار يعمل بالقاهرة ولك أخ وحيد يكبرك بعامين .. أما والدتك فتعمل فى مدرسة القرية الإعدادية .. وأنت تحبين القراءة والمغامرات ، وكنت الأولى على فصلك فى امتحانات آخر العام !

أصابنا ذهول طاغ ، فقد كان كل ما قاله ذلك الساحر الهندى صحيحاً .. وحتى « سلمى » قالت مذهولة : كيف عرفت كل هذه الأشياء ؟

(١) اقرأ رحلات السندباد السبع .

أجابها الساحر فى غموض : إننى أعرف كل شىء !

وأشار نحو « العمدة » قائلاً : أنت أيها « العمدة » .. تعال .

ولو أننا لم نسارع بإسناد « العمدة » لسقط على الأرض فاقداً الوعى مرة أخرى . وتحرك « العمدة » كما لو كان إنساناً آلياً نحو الساحر . ووقف أمامه وهو يرتعد فى هلع كما لو كان هناك تيار كهربائى يسرى فى جسده !

على حين كنا نحن نتساءل فى ذهول ، كيف عرف الساحر أن « العمدة » هو نفسه « العمدة » وليس أى شخص آخر ؟

أطل الساحر الهندى فى بلورته ، التى عادت إلى التألق ، ثم قال : لقد كنت من قبل خفيراً ثم رقيت إلى شيخ خفراء وأخيراً صرت عمدة أيها « العمدة » .. وأنت تعيش وحيداً مع حفيدك بعد وفاة زوجتك وابنك وزوجته .. كما أنك تمتلك عشرين فداناً وألف دجاجة .. وكنت قد تعرضت لسرقة مالك الذى كنت

تخفيه فى منزلك منذ أسابيع ، وبعدها أخذت المال لتودعه فى « البنك » .. أليس كذلك ؟

ولم يجب « العمدة » بشىء .. فمن شدة ذهوله لما سمعه من أشياء صحيحة عن نفسه ، سقط فاقداً الوعى !

وهذه المرة لم نصل إليه فى الوقت المناسب ، ولذا سقط « العمدة » على الأرض مثل قطعة خشب . وكدنا نهرع إليه فأشار لنا الساحر قائلاً : دعوه .. سوف يفيق بعد دقيقة واحدة !

وأشار الساحر إلى أحد المزارعين وحدق فى بلورته المسحورة ، ثم راح يخبر ذلك المزارع عن تاريخ حياته بأكمله .. ونحن نستمع له فى ذهول بالغ !

وبعد دقيقة بالضبط شاهدنا « العمدة » يفيق من إغمائه وينهض وحده .. ثم اندفع إلى الساحر الهندى قائلاً : أيها الساحر العظيم .. إنك ضيفى منذ هذه اللحظة .. وأقسم بالطلاق أن أحداً آخر فى القرية لن يستضيفك غيرى !

أشار الساحر إلى أحد المزارعين وحدق فى بلورته المسحورة

وكان قسم « العمدة » بالطلاق شيئاً سيئاً ، لأن الكبار لا يجوز لهم أن يقسموا بالطلاق ، وخاصة إذا كانوا أشخاصاً مثل « العمدة » .. لا زوجة لهم ليطلقوها ، بعد انتقالها إلى العالم الآخر !!

وقال الساحر الهندى للعمدة : هل سيتسع منزلك لى ولحيواناتى ، القرد « ميمون » والكلب « سعدون » والحصان « حمدون » ؟

أجابه « العمدة » لاهثاً : نعم .. إن منزلى به حظيرة واسعة تتسع لكل حيواناتك .. وإن لم يتسع منزلى لها ، فسأحملها فوق رأسى !

وكان « العمدة » يبالغ فى ذلك ، إذ أن رأسه لم يكن يتسع لحمل عنزة وليدة ، فكيف سيحمل حصاناً فوقه كلب وفوق الاثنين قرد ؟

ولكن الساحر الهندى أومأ برأسه موافقاً .. وأشار إلى قرده « ميمون » الذى بدأ الدق فوق الطبلة فى الحال وهو يسير للأمام ، وخلفه سار الكلب « سعدون » فوق قدميه الخلفيتين رافعاً قدميه الأماميتين فى الهواء .. أما الحصان

« حمدون » الذى قيده الساحر العجيب إلى العربة ، فقد سار باتجاه منزل « العمدة » دون أن يرشده أحد إلى المكان !

وهكذا أدركنا أن حيوانات ذلك الساحر الهندى ، هى أيضاً حيوانات غير عادية ، وربما كانت هى أيضاً هندية مسحورة بشكل ما !!

وما كاد الموكب يبتعد قليلاً ، حتى أفقنا من ذهولنا ، ورحنا نتبادل النظرات فى حيرة وعجب ، وقال « سالم » : لا أكاد أصدق ما شاهدته .. كأننى كنت أحلم .

أجبته أنا : إنه ليس حلماً بل حقيقة .. إن هذا الساحر الهندى ساحر حقيقى ، وليس مثل « سليمة » .

« سلمى » : لقد غرف كل شىء عنى .

« جمعة » : وعن جدى « العمدة » أيضاً .. وحمداً لله أنه لم يطلب منى أن أتقدم إليه ليكشف أسرارى ، وإلا لفضح أننى من التهم الزيتونة التى كان جدى ينوى أن يفطر بها هذا الصباح !

قلت أنا : أكثر من ذلك أنه قام بسحر قطعة من الحبال إلى حية كادت تعض جدتى .. وأيضاً أشعل ناراً فى المكان .

سالم : وحتى كلبه يبدو كما لو كان كلباً ساحراً هو الآخر .. إنه أعجب كلب شاهدته فى حياتى .. ولو كانت كل الكلاب الهندية بمثل هذا الذكاء ، لكان شعب الهند شعباً عظيماً !!

فكرت أنا قائلاً : ترى لماذا استضاف « العمدة » هذا الساحر العجيب هو وحيواناته مع أن « العمدة » لا يستضيف أى شخص ولا يطعمه ، إلا إذا كان سيستفيد منه أولاً .

تساءلت « سلمى » فى حيرة : وماذا سيستفيد « العمدة » من هذا الساحر ؟

التفت إلىَ « جمعة » قائلاً : هذا ما سوف يكتشفه لنا « جمعة » .

ولكن « جمعة » كان يبدو مشغولاً بالتفكير فيما هو أخطر ، وقد راحت أذناه الطويلتان ترتعشان ، ثم قال لاهثاً : يجب أن أنصرف حالاً إلى منزل جدى ..

سوف أراكم فى المساء تحت شجرة التين العجوز عند شاطىء النيل .

وانطلق يعدو مثل أرنب هارب من حكم بالإعدام !

وقالت « سلمى » : سأنصرف أنا أيضاً وإلا قلقت والدتى علىَ .

« سالم » : وأنا أيضاً .

وسار الاثنان مبتعدين بعد أن ودعانى . فاتجهت إلى منزلى ، وأنا أفكر فى أمر ذلك الساحر الهندى العجيب وكيف استطاع امتلاك تلك القدرة السحرية الجبارة .

ولكنى ما كدت أصل إلى المنزل ، حتى وقفت مكانى فى ذهول ، فلم يكن لجدتى أى أثر فى المكان ، وفكرت فى رعب ، ترى هل اختطف ذلك الساحر الهندى جدتى لأنها سخرت منه ، أم أنه قام بتحويلها إلى حدأة أو جرادة انتقاماً منها ؟

وصرخت بأعلى صوتى وأنا أكاد أبكى : جدتى .. أين أنت ؟

ولم يجاوبنى غير مواء قطة مرتعب .. فحدقت فى تلك القطة مذهولاً وقد أدركت ما حدث .

لقد قام الساحر الهندى بتحويل جدتى إلى قطة !

آه يا جدتى المسكينة !!

* * *

الكلب الميت .. الذى عض جمعة ؟ !

انفجرت باكياً صارخاً : آه يا جدتى .. لقد حولك هذا الساحر إلى قطة .. ولكن لا تقلقى بسبب ذلك ، فسأرعاك طوال عمرى !

وانحنيت نحو القطة - جدتى - لأربت فوقها لأطمئنها ، ولكن يبدو أنها كانت غاضبة منى لسبب ما ، فخمشتنى بأظافرها وانطلقت هاربة فى قفزة رائعة من شباك حجرة المطبخ ، كأنها عاشت عمرها كله تتدرب على تلك القفزة !

وصرخت فى هلع واندفعت لألحق بالقطة - جدتى - ولكن أوقفنى صوت غاضب من الخلف

يقول : كُف عن الصراخ أيها الصبى الأحمق ، هل تريد أن تلفت انتباه ذلك الساحر الهندى إلى مكاننا ؟

التفت مندهشاً فشاهدت جدتى ، ويا للعجب ، لم تكن قد تحولت إلى قطة ولا أى شىء آخر ، بل كانت كما كانت قبلاً .. جدتى !

أما تلك القطة الماهرة فى القفز فلابد أنها كانت قطة ضالة دخلت المنزل بطريق الخطأ .. وأنا الذى ظننتها جدتى وقد امتلكت قدرة عظيمة على القفز .. فى حين أن جدتى كانت تستغرق نصف ساعة لتهبط من فوق فراشها وتتجه إلى الحمام بسبب الروماتيزم ؟

سألت جدتى فى دهشة : أين كنت يا جدتى ؟

فأجابتنى هامسة : كنت داخل المنزل خشية من هذا الساحر الهندى الشرير .

وفى صوت أقل همساً سألتنى : ماذا حدث بعد أن تركتكم ؟

حكيت لها كل ما حدث ، فعاود جدتى الخوف وقالت : لقد سمعت الكثير عن هؤلاء الحواة السحرة

من الهنود .. إنهم يستطيعون القيام بأشياء عجيبة .. ولسوء حظى فإننى شككت فى هذا الساحر الهندى ولذلك يجب أن أذهب إليه للاعتذار .

وأشارت نحوى قائلة : وأنت ستذهب معى !

ولكن ، لا أظن أننى كنت سأفعل ذلك ، فآخر مرة ذهبت فيها للاعتذار إلى ساحرة - وهى الساحرة[1] سليمة - أصابتنى صاعقة من السماء وسقطت داخل خرابة مليئة بكل أنواع الموتى من الحيوانات ، وهى تجربة لا أرغب فى تكرارها على الإطلاق !

ولكن ، وبسبب خبرتى مع الجدات العجائز ، كنت أعرف أنهن سرعان ما ينسين فى المساء ، ما قالوه فى الصباح ، لذلك وافقت جدتى على ما قالته ، وأنا واثق أننى إذا ما قلت لها فى المساء : هيا نذهب إلى ذلك الساحر الهندى لنعتذر له يا جدتى .

عندئذ سوف تجيبنى قائلة فى دهشة عظيمة : عن أى ساحر هندى تتحدث ؟

(١) راجعوا مغامرة الثور المسحور

وهكذا ترون أن ضعف ذاكرة الجدات ، هو نعمة كبيرة من الله لصالح الصغار أمثالنا ، وخاصة فى مثل هذه المواقف الصعبة !!

وفى المساء ذهبت إلى شجرة التين العجوز ، فوجدت سالم وسلمى بانتظارى ، فوقفنا ثلاثتنا ننتظر « جمعة » لبعض الوقت فى الظلام ، ثم شاهدناه مقبلاً نحونا وقد طأطأ رأسه وتدلت أذناه الطويلتان لأسفل كأنما لاقتا هزيمة منكرة !

وسألته فى شك : ماذا هناك يا « جمعة » ؟

ولكن « جمعة » انفجر فى البكاء وقال فى صوت منقطع : لقد ضاع مستقبلى تماماً .

سألته فى قلق : هل تم رفتك من المدرسة ؟

أجابنى غاضباً : كيف يرفتوننى ونحن فى الأجازة المدرسية ؟

وفى صوت حزين ورأس منكس قال : لقد رفض الساحر الهندى العظيم أن أعمل معه كمساعد لكى يعلمنى كل ألعابه .. وقال أن فى كلبه وقرده وحصانه الكفاية . وبذلك ضاعت أحلامى فى أن

أصير ساحراً أو حاوياً .. وضاع مستقبلى !

قلت مهوّناً على صديقى : ليس فى هذا نهاية العالم يا « جمعة » .. إن مستقبلك لم يضع كما تظن ، ويمكنك أن تسافر إلى « الهند » فتتعلم هناك كل أساليب السحر والحواة ، ثم تعود إلينا كساحر خبير ، مثلما يفعل بعض الخبراء الآخرين فى بلادنا ، فيذهبون مثلاً إلى « اليابان » ليتعلموا أفضل الطرق فى خلط الدقيق بالماء لصنع عجينة الخبز ، أو يسافرون إلى « أمريكا » ليطلعوا على أحدث الطرق فى تربية الكتاكيت الصغيرة لتصبح دجاجات كبيرة ! !

حملق فىّ « جمعة » بدهشة لحظة ثم قال : هل تظن أن جدى سيوافق على سفرى إلى « الهند » لأتعلم السحر ؟

أجبته : ولماذا لا يوافق ، إنه بذلك سيتخلص من مطالبتك له بمصروفك اليومى ، واضطراره لأن ينقص ثروته بمقدار قرش واحد كل يوم !

« سالم » : دعونا من ذلك ، أخبرنا يا « جمعة »

لماذا استضاف جدك ذلك الساحر فى منزله ؟

فجأة ظهر التوتر على وجه « جمعة » وراح يتلفت حوله ، حتى أن منظره أصابنا بالخوف .

فهمست له : ماذا هناك يا « جمعة » ؟

أجابنى هامساً : إنه سر خطير .

سألته بقلق أشد : وما هو ذلك السر ؟

أجابنى « جمعة » وهو على وشك البكاء : إن جدى يرغب فى أن يتعلم من الساحر الهندى طرق السحر والحواة !!

حملقنا فى « جمعة » مندهشين ، وسألته فى شك : هل أنت واثق من ذلك ؟

أجابنى وهو لا يزال يتلفت حوله : لقد سمعت جدى وهو يطلب ذلك من الساحر الهندى العظيم .

سألته أنا : وبماذا أجابه هذا الساحر ؟

« جمعة » : لقد أخبره أن هذا الأمر يتطلب وقتاً طويلاً ونفقات عديدة ، ولكن جدى قال إنه مستعد

لاستضافة الساحر الهندى أى مدة ، وأن ينفق على ذلك أى مبلغ !

تساءل « سالم » فى دهشة : وبماذا سيستفيد « العمدة » من تعلم أساليب الحواة ؟

أجبته أنا : ربما لأجل أن ينجح فى الانتخابات دون حتى أن يكون قادراً على كتابة اسمه .. إن كثيراً من الحواة فعلوا ذلك من قبل وصاروا أعضاء محترمين فى « البرلمان » ! !

« جمعة » : لا .. إن هدف جدى أكبر من ذلك كثيراً .. إنه يرغب فى جمع مال كثير .. فجدى يفعل أى شىء لأجل المال ، وقد سمعته يقول للساحر بأنه كان يتمنى أن يصبح ساحراً أو حاوياً وليس عمدة .. وربما يظن أن ذلك الساحر سيعلمه كيف يحوّل أوراق الشجر إلى نقود ورقية من فئة العشرة جنيهات ، ويقوم أيضاً بتحويل أغطية زجاجات المياه الغازية إلى جنيهات ذهبية !

التمعت عيناى وهتفت فى انفعال : إن من يتعلم ذلك سيصير غنياً جداً .. أغنى رجل فى العالم !!

قالت « سلمى » غاضبة : أيها الأحمق ، وهل يمكن لأى إنسان أن يفعل ذلك ولو كان ساحراً ، وحتى هذا الساحر الهندى لا يقدر على تحويل أوراق الأشجار إلى نقود وأغطية زجاجات المياه الغازية إلى ذهب ، وإلا ما اضطر لأن يجعل قرده يدور على المشاهدين بعلبة يسقطون فيها قروشهم القليلة !

وأيدها « سالم » قائلاً : هذه ملحوظة ذكية تماماً !

ووافقها « جمعة » قائلا : نعم .. إنها ملحوظة ذكية تماماً !!

وهكذا بدا وكأننى الغبى الوحيد وسطهم ، فتنحنحت لتغيير الموضوع وقلت : حسنا .. وماذا بعد ؟

سألنى « سالم » : ماذا تقصد ؟

أجبته : لم يعد فى الأمر أى غرابة بخصوص هذا الساحر ، فما أن تدرك أن أى إنسان هو ساحر ، حتى لا تعود تستغرب ما يفعله .. والآن جاء دورى

لأسألكم ماذا سنفعل نحن .. أقصد ما هى المغامرة التى سنقوم بها ؟

كان سؤالاً ذكياً منى ولا شك ، ذلك لأن الباقين ظهرت عليهم الحيرة ولم يردوا بشىء .. وهز « سالم » كتفيه وقال : لن نفعل شيئاً غير أن نعود إلى منازلنا .

تساءلت أنا : وماذا سنفعل فى منازلنا ؟

« سالم » : سننام طبعاً فوق فراشنا .

احتددت قائلاً : لا يصح لمن كان يمتلك فريقاً للمغامرات مثلنا ، أن نذهب إلى بيوتنا وننام كالآخرين .. لا .. علينا أن نبحث عن مغامرة ننشغل بها فلا ننام الليل !!

قالت « سلمى » ساخرة : ومن أين سنأتى بهذه المغامرة .. هل سنصيدها بسنارتنا من النهر ؟

وأيدها « سالم » قائلاً : هذه ملحوظة ذكية تماماً !

ووافقها « جمعة » قائلا : نعم .. إنها ملحوظة ذكية تماما !!

وهكذا ، ومرة أخرى بدا أننى الأحمق الوحيد وسطهم ، فزفرت فى ضيق قائلا : حسنا .. كما ترون .. فلنذهب إلى فراشنا و ..

وتوقفت عن الحديث وقد جحظت عيناى وشل لسانى ورحت أرتعد هلعا ورعبا مثل « برغوت » يوشك أن يلاقى مصيرا مؤلما بمبيد حشرى !

تسألون عن السبب فى ذلك .. دعونى ألتقط أنفاسى قليلا من شدة الإثارة لأخبركم بما حدث .. فكلما تذكرت ما شاهدته تلك الليلة أصابنى الارتعاد ورحت أرتجف مثل « خيال المآتة »[1] فى ليلة شديدة البرودة (بالرغم من أن خيال المآتة لا يشعر بالبرد كما تعرفون) !

هل تتذكرون جيفة الكلب الميت التى اصطدتها بسنارتى ذلك النهار .. لابد أنكم تذكرون أن

(١) فزاعة .

« جمعة » قام بدفنها داخل حفرة قريبة .. حسنا .. ماذا تظنوننا قد شاهدنا تلك اللحظة ؟

حسناً .. لقد شاهدنا تلك الجيفة تخرج من قبرها .. وتنفض التراب عن نفسها ، كما لو كانت كلباً قد خرج لتوه من حمام بارد !!

وكان ما حدث كفيلاً بلفت انتباه « جمعة » و « سالم » و « سلمى » نحو نفس الجيفة - الجثة - ، وما أن شاهدوا ما شاهدته ، حتى أصابهم ما أصابنى !

إننا حتى لم نقدر على الجرى والهرب .. كأنما ألصقت أقدامنا فى الأرض بالصمغ !

وما أن أكملت الجيفة خروجها من قبرها ، حتى نبحت نحونا فى غضب ، كأنها تعترض بأنها كانت تستحق قبراً أفضل من ذلك الذى دفنها « جمعة » فيه !

ماذا تظنون قد حدث بعد ذلك ؟

حسناً .. ماذا أسمعكم تقولون ؟

تقولون أن بصرنا قد خدعنا فى توهم ذلك .. أو تقولون أننا توهمنا رؤية ذلك فى الظلام .. حسناً .. لو كان ما تقولونه صحيحاً .. فكيف أمكن لتلك الجيفة أن تعض « جمعة » بالذات فى ساقه ، ثم تطاردنا أكثر من ألف متر بعد ذلك ؟

* * *

قرية الأرواح الشريرة ! !

لو أن صاروخاً من نوع « الباترويوت » قد طارد آخر من نوع « الإسكود » لأصابه حتماً .. أما أنا فلو طاردتنى كل صواريخ « الباترويوت » فى العالم تلك اللحظة ، ما أمكنها اللحاق بى !

فقد رحت أجرى بكل ما تمتلك ساقاى من سرعة .. كأننى الريح نفسها .

وسمعت صرخات « سلمى » وهى تجرى ورائى وتلك الجيفة تطاردها .. و « سلمى » تطلب المساعدة ، ولكن من كان يستطيع تقديم يد

المساعدة إليها .. حتى لو كان شخصاً يرغب فى الزواج منها بعد عشرين عاماً ؟

هناك أوقات تكون الشجاعة فيها هى أن تطلق ساقيك للريح، وإلا فسيأتى الآخرون ليكتبوا فوق قبرك : هنا يرقد فلان الفلانى .. الذى كان شجاعا ومات بسبب ذلك !!

ولكن لا تظنوا أننى تركت « سلمى » - عزيزتى « سلمى » الغالية - دون أن أمد لها يد المساعدة .. لقد دعوت لها فى سرى لأن ينقذها الله وأنا أواصل هربى بأقصى سرعتى !

ووصلت المنزل لاهثاً .. ولا أدرى متى توقفت تلك الجيفة عن مطاردتى ، ولا ماذا حدث للآخرين .

اندفعت إلى المنزل وأغلقت الباب فى عنف ، وما أن شاهدتنى جدتى على تلك الحالة ، حتى سألتنى فى قلق وخوف : هل كان ذلك الساحر الهندى يطاردك ؟

أجبتها لاهثاً : بل جيفة كلب ميت خرجت من قبرها لتطاردنا جميعاً !

وبدلاً من أن تتهمنى جدتى بالكذب أو تسخر منى كعادتها ، ارتعشت مقدمة أنفها وقالت : هذا هو ما توقعته !

سألتها فى دهشة : ماذا تقصدين يا جدتى ؟

أجابتنى فى غموض : هذه أمور لا تفهمها بسبب صغر سنك .. فقد انتشر الشر فى العالم إلى حد كبير .. وصار كل شىء ممكن الحدوث هذه الأيام !

لم أفهم ما قصدته جدتى بالضبط ، ولكنه أصابنى بخوف شديد ، فعندما تتحدث الجدات على ذلك النحو الغامض ، فلابد أن يكون الأمر خطيراً بدرجة ما . ولذلك ظللت مستيقظاً طوال الليل لا أجرؤ على النوم .. خشية أن تنقض علىّ تلك الجيفة من مكان ما فى الحجرة لتعضنى أنا أيضاً .

وفى الصباح خرجت حذراً .. لا أجرؤ حتى على الذهاب إلى مكان شجرة التين العجوز .. والمكان الذى سبق أن قمنا بدفن الجيفة به .. قبل أن تخرج من قبرها وتعض « جمعة » !

وصادفنى « سالم » و « سلمى » فى منتصف

الطريق، وما أن رأينا بعضنا بعضا حتى أصابنا الارتياح لأن كلا منا اكتشف أن الآخر سليم لم يصبه سوء .

وحمدت الله أن « سلمى » سليمة لم يمسها الكلب بأى ضرر ، ومن المؤكد أن الله قد استجاب لدعائى .. ولكنها قالت لى فى لوم : كنت أظن أنك أول من سيسارع بابعاد ذلك الكلب عنى ، لا أن تتركنا وتهرب .. كنت أظنك ولداً شجاعاً يدافع عن الفتيات الصغيرات !

ارتبكت .. ولم أستطع أن أقول لها أننى دعوت الله من أجلها فقلت كاذباً : حسناً .. إنك لا تفهمين ما حدث على الوجهة الصحيحة .. لقد أردت بهربى أن أجذب انتباه تلك الجيفة فتسارع بمطاردتى بدلاً منك وهكذا تتاح لك فرصة أفضل فى النجاة ! !

« سالم » : إن تلك الجيفة تركت مطاردتنا بالفعل وانطلقت تطارد « جمعة » وحده !

قلت متأسفاً : هذا هو حظ « جمعة » دائماً .. فإن به جاذبية غريبة تجعل أى حيوان يطارده دون سبب كأنه عدوها اللدود ، وأذكر مرة أننى كنت

أتسلى بتصويب الحجارة على كلب ضال ، وما أن أصابته حجارتى ، حتى انطلق يطارد « جمعة » ويعضه بدلاً منى . ومرة أخرى كنت أطارد قطة شرسة بقطعة خشب ولكنها قفزت نحو جمعة وخمشته فى وجهه بدلاً منى و ..

قاطعتنى « سلمى » غاضبة : هل أنت بلا قلب لتطارد الكلاب والقطط وتضربها هكذا .. أى ولد قاس تكون ؟

أصابنى عرق غزير لكلماتها وشعرت بالخجل .. من العجب أننى لم أفكر فى أن الأمر قد يكون قاسياً على تلك الحيوانات ، واعتبرت أنه حق إلهى لكل صبى فى عمرى ، أن يطارد القطط والكلاب وكل ما يصادف من الحيوانات ، ويتمرن فى تصويب الحجارة عليها !

ومن المؤكد أننى كنت سأحصل على الجائزة الأولى لو أنهم أقاموا مسابقة فى دقة التصويب على القطط والكلاب !

وأنقذنى « سالم » من الارتباك قائلاً : إن والدتى

لم تصدق أمر هذه الجيفة ، وقالت إننا صرنا نتخيل مثل تلك الأشياء العجيبة .

وقالت « سلمى » : ووالدتى لم تصدق أيضاً بأمر هذا الساحر الهندى العجيب .. وقالت أن كثرة مشاهدتنا للأفلام الهندية قد أثرت على درجة ذكائنا وحدة بصرنا !

تلفت « سالم » حوله فى قلق متسائلاً : أين « جمعة » ؟

يبدو أن « جمعة » كان ينتظر ذلك التساؤل ، لكى يظهر أمامنا وهو يسير بقدم قد لف حولها شاش طبى ، وراح يعرج وهو يسير فوقها .

كان من الواضح أن تلك الجيفة لم تترك ساق « جمعة » فى مطاردة الأمس ، إلا بعد أن انتزعت قطعة لحم منها ، وهو أمر كان يبدو مستغرباً ، لأن « جمعة » كان نحيفاً مثل جرادة يابسة ، وساقاه الاثنتان ليس فيهما أقة لحم كاملة !

كان منظر « جمعة » غنياً عن أى شرح ، وعانقته أنا مهوناً عليه وأنا أقول : لا بأس عليك يا « جمعة » .. سوف تشفى سريعاً .

فقال « جمعة » متألماً : لقد ظلت الجيفة تطاردنى حتى منزل جدى ، وعضتنى فى ساقى أكثر من مرة .

وفى صوت يشبه العويل أضاف : لا أدرى لماذا طاردتنى تلك الجيفة وحدى وعضتنى أنا بالذات .. دوناً عنكم ؟

قلت مهوناً عليه : إنها طيبتك يا « جمعة » التى تجعل حتى الحيوانات تستصغر شأنك !

احتد « جمعة » قائلاً : هل تسخر منى .. لماذا يسخر منى الجميع ، حتى ذلك الساحر الهندى ؟

سألته فى دهشة : وهل سخر منك الساحر الهندى ؟

ظهر الارتباك على « جمعة » وقال : يبدو أنه رآنى فى بلورته السحرية أثناء المطاردة ، وكان يعرف كل ما جرى لى بالخارج مع تلك الجيفة اللعينة .

نظرنا إلى « جمعة » ونحن نلهث ، وسألته أنا : هل تظن أن هذا الساحر الهندى هو المسئول عما حدث ؟

أجابتنى « سلمى » : أيها الأحمق ، وهل هناك أى إنسان فى العالم يستطيع أن يجعل جيفة تخرج من قبرها لتطارد الناس ، حتى لو كان ساحراً ؟

« سالم » : إذن ما هو تفسير ما حدث ؟

لمعت عينا « جمعة » وقال : إننى أعرف سر تلك الجيفة !

هتفنا بقيتنا فى صوت واحد : ماذا ؟

واصل « جمعة » فى غموض قائلاً : لقد أخبرنى الساحر بالسر !

صحنا فى صوت واحد : أخبرنا به بسرعة يا « جمعة » .

ولكنه هز رأسه وحك مؤخرتها قائلاً : ليس قبل أن أنال تعويضاً عما أصابنى .. فهى إصابة « عمل » وتستحق تعويضاً كبيراً !!

واضطررنا لتعويضه بثلاث قطع من الحلوى ، التهمها « جمعة » فى سرعة « جرادة يتيمة » حطت على حقل ذرة أخضر ، وعادت عيناه تلتمعان

بذلك السر الخطير ، وتلفت حوله ثم همس لنا : إن الجيفة كما أخبرنى الساحر ، لم تغادر قبرها .

سألته أنا فى دهشة : إذن من الذى طاردنا وعضك فى ساقك ؟

قال « جمعة » فى بساطة : إنها روح تلك الجيفة !

صحنا فى صوت واحد :

- روح الجيفة ؟

أكمل « جمعة » شارحاً : لقد أخبرنى الساحر بأن الشر قد زاد فى العالم ، ولذلك فإن بعض الأرواح الشريرة سوف تستيقظ من نومها الأبدى ، وستمرح فى العالم وخاصة فى قريتنا !

أصابنى الذهول ، فقد كان هذا نفس ما قالته جدتى تقريباً .. وأكمل « جمعة » قائلاً : لقد أخبرنى الساحر الهندى بأن ظهور روح تلك الجيفة ليس إلا البداية ، وسيتبعها ظهور أرواح شريرة أخرى ستقوم بأعمال أكثر شراً ، وسيكون من الصعب

إيقاف هذه الأرواح ، وإعادتها إلى العالم الآخر الذى جاءت منه !

أصابنى الهلع حتى كدت أسقط فاقداً الوعى . ولكن « سلمى » نهضت فى شجاعة وسخرية قائلة : أى حديث أحمق تقول يا « جمعة » .. هل صدقت هذه المسألة السخيفة .. ليست هناك أشياء اسمها أرواح شريرة .. لقد كان ذلك الساحر يخدعك ويستغل سذاجتك وحماقتك .

لم يرد « جمعة » على « سلمى » بسبب وصفها له بالسذاجة والحماقة ، على حين أننى لو فعلت ذلك معه ، لتعارك معى ساعة كاملة ، فهل هناك دليل على سذاجته وحماقته أكثر من ذلك ؟

قال « سالم » مفكراً : هناك وسيلة وحيدة للتأكد مما قاله الساحر لجمعة .

سألناه فى صوت واحد : وما هى ؟

أجاب « سالم » : أن نحفر قبر تلك الجيفة التى دفنها « جمعة » بداخله .. فإن وجدناها فى مكانها ، فهذا دليل مؤكد على أن حديث الساحر

صحيح .. وأن الجيفة لم تغادر قبرها ، بل إن روحها الشريرة هى التى فعلت ذلك !

تحمست أنا قائلاً : فكرة رائعة .. هيا بنا .

وانطلقنا إلى المكان الذى دفنا به تلك الجيفة .. ورحنا ننبش التراب فوقها .. ثم تراجعنا فى ذعر عندما شاهدنا رأس الجيفة مغمورة بالتراب تنظر إلينا كأنها تستمطر لعنات السماء فوق رؤوسنا !

وارتجف « جمعة » وهو يقول : هل صدقتمونى ، إن الجيفة لاتزال مكانها ، وهذا دليل على أن من عضنى كان روحها الشريرة !

قلت بسرعة : يجب أن نخبر سكان قريتنا بما حدث ، ليحتاطوا لتلك الأرواح الشريرة .

سالم : هيا بنا .. لا وقت لإضاعته .

واندفعنا نسابق الريح إلى منازل القرية نطرق الأبواب ونخبر الجميع بما شاهدنا .. ولكن الجميع قابلونا ساخرين قائلين : يا لهم من أولاد واسعى الخيال .. أرواح شريرة تهاجم قريتنا .. أى سخف هذا ؟

وفى الحقول لم يلتفت أحد لما نقوله .. وصاح بنا أحد مزارعى قريتنا : كفوا عن تلك الأقاويل البلهاء فليس لدىَ وقت للاستماع إليكم ، وإلا فسوف أقوم بشد أذانكم حتى أخلعها من مكانها !

وبالطبع كان أسبقنا فى الهرب من ذلك التهديد هو « جمعة » .. فما كان يملك شيئا غير أذنيه للتضحية بهما هكذا بكل بساطة !

واتجهنا عائدين إلى حديقة منزل « سالم » ، وبقينا طوال النهار حتى سقط الظلام ونحن جالسون صامتون نترامق فى حزن دون أن ننطق .. كنا نخشى على أهل قريتنا من تلك الأرواح الشريرة التى توشك أن تستيقظ من رقادها ، ولكن كيف السبيل إلى محاربتها وأهالى قريتنا يرفضون مجرد الاستماع إلينا وتصديقنا ؟

وفجأة جاء صوت مفزوع من الخارج يقول : الأشباح .. اهربوا من الأشباح .. إنها تملأ كل طرقات القرية !

تبادلنا النظر ذاهلين لحظة ، ثم اندفعنا إلى

صوّب الشبح الأسود رمحه نحونا

الخارج نسابق الريح لنشاهد تلك الأشباح التى لم يكن من شك فى أنها أشباح الأرواح الشريرة التى تحدث عنها الساحر الهندى العظيم . وما كادت عيوننا تقع على أولها حتى أصابنا رعب لا مزيد عليه .. إذ كان ذلك الشبح يمتطى جواداً راح ينهب به الأرض فى سرعة هائلة كأنه الريح ، وقد أمسك برمح فى يده ، وقد راح الشبح يطول ويقصر فوق جواده ، مثلما تفعل كل الأشباح والعفاريت الشريرة التى حكت لى جدتى عنها !!

وصوّب الشبح الأسود رمحه نحونا ، ثم أطلقه إلى صدورنا ، فصرخنا من الهلع وأصابنا شلل منعنا من الهرب ، وذلك الرمح يشق الهواء نحونا ، كأنما تدفعه قوة سحرية مخيفة أرادت أن تكون أول أعمالها الشريرة ، هى أن تمحونا من هذا العالم !!

* * *

الأرواح الشريرة تأمركم !

اندفع الرمح تجاهنا وهو يصفر فى الهواء .. ثم غيّر اتجاهه فى اللحظة الأخيرة ليشق جلباب « جمعة » ، ما بين ساقيه تماماً ، ثم انغرز خلفه فى الأرض !

وفى تلك اللحظة استعدنا قدرتنا على الجرى مرة أخرى ، فاندفعنا نعدو صارخين كالمجانين ، مثل مجموعة من الأرانب المفزوعة يطاردها ذئب متوحش لم يأكل منذ عامين !

لقد صرخ « جمعة » وعوى مثل كلب داس فيل على ذيله ، وحاول أن يجرى دون فائدة .. وحتى

عندما حاول أن يخلع جلبابه ليهرب استحال عليه ذلك !!

مسكين « جمعة » .. لم تكن الحيوانات الشرسة فقط هى التى تكرهه وحدها .. بل حتى الأشباح أيضاً فيما يبدو !

لم يكن هذا هو الشبح الوحيد الذى شاهدناه تلك الليلة ، فبعدما انطلقنا نجرى هاربين - عدا « جمعة » - شاهدنا شبحاً آخر ، كان أقصر قامة وقد راح يجرى هنا وهناك فى ملابس سوداء وبطريقة عجيبة مخيفة !

ولم يكن ما أخافنا منه هو ملابسه السوداء التى تغطى بها .. بل جمجمة الشبح التى كانت تلمع فى الظلام بلهب مخيف ، كأنها رأس شيطان !

وصرخ « سالم » فى هلع : أنقذونا أيها الخفراء .

فجاوبه صراخ بعض الخفراء من الخلف يقول : لينقذنا أحدكم !

وهكذا بدا لنا أننا جميعاً فى حاجة إلى إنقاذ .. وقد

علا صراخ سكان قريتنا من كل مكان ، والهاربون يتدافعون فى ذعر ، كل منهم يبحث عن مكان يلجأ إليه .. فمن تسلق أقرب شجرة ليحتمى بين أغصانها .. ومن ألقى بنفسه فى قلب كوم تبن يختفى فيه ، ومن قفز داخل بئر منزله !!

وعادة كان خفراء قريتنا هم أبرع من يعثرون على أماكن صالحة للاختفاء ، وذلك عندما يحيق بقريتنا خطر ما .. وأتحدى أى إنسان يقول أنه استطاع أن يعثر على خفير من خفراء قريتنا .. إذا ما هاجمها بعض اللصوص ، أو حتى قطيع من الذئاب !

وفى العادة عندما كنا نسمع صيحة الخفراء العالية تقول : من هناك ؟

كنا ندرك على الفور أن حالة الأمن مستتبة وأن لا أحد هناك .. أما إذا كان هناك أحد .. فمن المؤكد أنك لن تسمع عبارة « من هناك » .. حتى تشرق شمس الصباح !

وهكذا راح كل فرد من سكان قريتنا يبحث عن مكان آمن يلوذ به دون أن ينتظر مساعدة من أحد .

أما أنا فكنت أعرف مكاناً أكثر أمناً .. وهكذا اندفعت بسرعة الصاروخ إلى حجرتى المظلمة وألقيت بنفسى تحت فراشى ..

وما كدت أفعل ذلك حتى صرخت فى هلع أكبر عندما لمست ذلك الشىء الممدد تحت السرير . لقد كان شبحاً دون شك ، وقد اختار أن ينتظرنى بالذات وحدى فى هذا المكان ، فصرخت فى رعب وكدت أندفع هارباً . لولا أن جذبتنى يد من ساقى ، وجاءنى صوت مألوف يقول محذراً : اخفض صوتك أيها الأحمق .. حتى لا تكتشف تلك الأرواح الشريرة مكاننا .

حسناً .. لقد كانت جدتى وكانت تختبىء خوفاً من تلك الأرواح الشريرة أيضاً ! !

* * *

وفى الصباح اكتشفنا شيئاً مؤلماً .

فإن الأشباح لم تكتف بما أثارته من ذعر الليلة الماضية ، بل إنها - وبسبب شرها البالغ - اندفعت تُحدث خراباً فى القرية .. فقد أتلفت محصول الذرة

النامى فى حقل عم « جاد الكريم » الرجل الطيب ، الذى لا مورد له غير زراعته ، وكذلك أحرقت برجاً للحمام تمتلكه أم حليمة (هل تذكرونها ؟) ، ليس هذا فقط ، بل إن الأرواح الشريرة اندفعت إلى حظيرة « العمدة » وخنقت خمسة من الماعز الصغيرة الوليدة ثم قطعت آذانها ، حتى إننى سمعت « العمدة » وهو يبكى نائحاً يقول : آه يا معزاى الصغيرة الحبيبة .. كيف أحيا بدونك ؟

على حين أننى أعرف أن « العمدة » لم يبك على جدته عند وفاتها !

وهكذا استيقظت قريتنا ذلك الصباح وقلبها يرتجف خوفاً وهلعاً . فقد كان ما حدث لها الليلة السابقة أمراً مخيفاً ولا تفسير له . وراح الفلاحون البسطاء يتمتمون بالأدعية من أجل طرد تلك الأرواح الشريرة .

ولكن تلك الأدعية لم تكن كافية بكل تأكيد ، ولذلك صاح أحد سكان القرية : لن ينقذنا من هذا البلاء غير الساحر الهندى العظيم .

صاح آخر : هذا صحيح ، لن ينقذنا غيره ، فهو

قادر على طرد الأشباح بقدرته السحرية .

وصاح ثالث : ماذا تنتظرون .. دعونا نذهب إليه ونرجوه مساعدتنا .

ومن مكانى أمام باب منزلى شاهدت سكان قريتنا وهم يتجهون إلى منزل « العمدة » من أجل مقابلة الساحر الهندى العظيم لطرد الأشباح الشريرة .

وتذكرت صديقى « جمعة » .

آه لجمعة المسكين .. ضحية الأشباح والأشرار فى كل مكان بالعالم !

انطلقت إلى مكانه الذى تركته فيه بالأمس ، فوجدته واقفاً مكانه وقد صار مثل قطعة من الخشب ، حتى أن من ينظر إليه على البعد يظنه « خيال مآتة » حقيقى ، ولدرجة أن « حدأة » حطت على كتفه ، وراحت تنقره فى أنفه ، دون أن يتمكن « جمعة » من منعها . وقد راح يتمتم بصوت مريض متكرر كما لو كان أسطوانة معطوبة تردد كلمات : « أنقذونى من الأشباح » .. « أنقذونى من الأشباح » .. « أنقذونى من الأشباح » !

وحتى أذناه راحتا ترتعشان ، كأنها تهتف أيضاً : « أنقذونى من الأشباح » !

ولحق بى « سالم » و « سلمى » ، وما أن شاهدا « جمعة » على تلك الحالة حتى أدركا أنه ظل مكانه طول الليل واقفاً بلا حراك .. فمددناه على الأرض ورحنا ندلك يديه وقدميه لتعود إليهما الدماء والحيوية !

ومن العجب أننا لم نعثر على الرمح الذى ألقاه الشبح على « جمعة » بالأمس .. وإن كان أثره واضحاً فى التمزيق الحادث بجلباب « جمعة » .

وعندما بدأ « جمعة » يستعيد حرارته ووعيه ، سألته فى لهفة : أين ذهب الرمح الذى أطلقه عليك الشبح يا « جمعة » ؟

فأجابنى بصوت خافت : « أنقذونى من الأشباح » !

وسأله « سالم » : هل فعلت بك الأشباح شيئاً آخر يا « جمعة » ؟

فأجابه « جمعة » : « أنقذونى من الأشباح » !!

وأظن أننى لو سألته وقتها : كم الساعة الآن يا « جمعة » ؟

لأجابنى : « أنقذونى من الأشباح » !!!

تعاونت أنا و « سالم » فى حمل « جمعة » إلى منزل جده . وكان « العمدة » لا يزال ينوح على عنزاته المخنوقة ، ولم ينتبه حتى لدخولنا المنزل ، فمددنا « جمعة » فوق فراشه ، ومن مكاننا فى حجرة جمعة لمحنا الساحر الهندى العظيم جالساً وأمامه محرقة بخور يتصاعد منها اللهب ، وبجوارها البلورة المسحورة التى وضع يديه عليها ، وقد جلس وحوله عدد كبير من سكان القرية ، وقد اختلطت أصواتهم ، وهم يرجون الساحر العظيم أن يساعدهم فى إبعاد الأرواح الشريرة عن قريتهم .

فأطرق الساحر العظيم برأسه لحظة مفكراً ثم قال : هذه مهمة صعبة جداً .. وستكلفكم كثيراً .

فأجاب سكان القرية : سندفع لك ما تريد .

قال الساحر : لن آخذ شيئاً لنفسى ، بل سأعطيها

لتلك الأرواح الشريرة لتغادر المكان .

فسأله سكان قريتنا : وماذا تريد الأرواح الشريرة منا ؟

فأجابهم الساحر : سأسألها حالاً .

وألقى بشىء فى يده إلى المحرقة ، فتصاعد منها دخان ونار هائلة ، حتى أن سكان قريتنا تراجعوا إلى الوراء فى ذعر .

ووضع الساحر يديه فوق البلورة وأغمض عينيه . وبدا كأنه راح فى غيبوبة ، ثم أخذ يتمايل مثل « بندول » الساعة وهو يتمتم بكلمات غامضة مثل : « شهمورش » « بلهورش » .. يا « مذوب البورش » !!

وصمت الساحر وقد تفصد بالعرق ، حتى أننا كنا نسمع دقات قلوبنا لشدة السكون .. وفجأة تألقت البلورة المسحورة بلهب أحمر كالنار ، فشهقنا من المفاجأة ، ثم سمعنا صوتاً عميقاً مخيفاً ارتجفت له أبداننا ، وبدا كأن الصوت يصدر من الحائط أو

السقف وهو يقول : ماذا تريد أيها الساحر الهندى العظيم ؟

لم نكن بحاجة لان نعرف أن ذلك الصوت ، هو صوت الأرواح الشريرة وأنها قد حضرت إلى المكان !

أصابنا الارتعاب للصوت العميق الذى صدر فجأة دون أن ينطق به أى إنسان ..

فقال الساحر يجيب على صوت الأرواح الشريرة : أريدكم أن ترحلوا عن هذه القرية الطيبة .

فضحكت الأرواح الشريرة ضحكة شريرة عالية وقالت : وماذا ستدفعون مقابل ذلك ؟

أجاب الساحر : سندفع ما تريدون .

قال صوت الأرواح الشريرة : إننا نأمر أن يدفع كل فرد من سكان القرية مائة جنيه .. وكل من كان يمتلك محصولاً يعطينا نصفه ، ومن كان يمتلك أبقاراً وماشية يهبنا نصفها .. ومن لا يفعل فسوف تحل عليه لعناتنا . وسنحرقه وندمر كل ما يملك .. وعليك أن تجمع كل هذه الأشياء أيها الساحر الهندى

العظيم ، وتكون معك على سبيل الأمانة ، إلى أن نطلبها منك !

ارتعد سكان قريتنا ، حتى أنهم كتموا أنفاسهم هلعاً . وسأل الساحر العظيم الأرواح الشريرة : هل تريدون شيئاً آخر ؟

أجابت الأرواح الشريرة : نعم .. إننا نريد فدانين من أرض « العمدة » .. لنسكن فيها بقية عمرنا .. وإن رفض أصبناه بلعناتنا .. وأحرقنا كل ما يملك .

صرخ « العمدة » معترضاً .. فقد كان أهون عليه أن يضحى بحياته ولا يضحى بأرضه ، ولكن الساحر نظر إلى « العمدة » نظرة حادة أخرسته .. وأخيراً قال الساحر : اذهبى بسلام أيتها الأرواح الشريرة .. وسننفذ كل أوامرك فى الحال .

فاختفت أصوات الأشباح وخفت وميض البلورة المسحورة على الفور !

والتفت الساحر العظيم إلى سكان قريتنا قائلا : والآن .. عليكم أن تنفذوا ما أمرت به الأرواح الشريرة ، وإلا حلت عليكم لعناتها .

فبكى بعض سكان القرية وقالوا : ولكننا فقراء ولا نملك مالاً ندفعه لها .

فأجابهم الساحر : بيعوا ما تملكون ولو كانت منازلكم وملابسكم ، وإلا عاقبتكم الأرواح الشريرة .

وقال آخرون : كيف نضحى بنصف محاصيلنا ومواشينا ، وهى مصدر رزقنا وقوت أولادنا .. ولو أعطيناها للأرواح الشريرة ، لمتنا جوعاً .

أجابهم الساحر : هذا أفضل من أن تحرق الأرواح الشريرة كل محاصيلكم ومواشيكم .

فانصرف سكان قريتنا حزانى ليأتوا للساحر بما أمرت به الأرواح الشريرة وهم يرتعدون خوفاً !

والتفت الساحر إلى « العمدة » متسائلاً : وأنت .. ما هو ردك أيها العمدة ؟

وهنا استعاد العمدة قدرته على الكلام ، وراح ينهنه باكياً كالأطفال وهو يقول : سأمنح الأرواح الشريرة ما طلبته .. آه يا أرضى العزيزة ، ليتنى مُت قبل أن أفرط فيك !

الساحر العظيم : هذا حسن ، والآن أريد أن أستريح ، فقد تعبت كثيراً اليوم .

واتجه إلى أفخر حجرات المنزل ، وقد كان يقيم بها .

أما نحن فرحنا نترامق فى صمت وحزن .. فماذا كان فى استطاعتنا أن نفعل لمواجهة شىء خارق مثل تلك الأرواح الشريرة .. وحمداً لله أننا لم نكن نمتلك شيئاً له قيمة .. وإلا لطالبتنا تلك الأرواح الطماعة أن تقتسمه معنا !!

* * *

جمعة يصاب بالخرس

في المساء اجتمعنا في حديقة منزل « سالم » .. واحتفلنا بعودة « جمعة » واستعادته للياقته .. وزبت أنا على كتفه قائلاً : كيف حالك أيها البطل ؟

فهز رأسه صامتاً . على حين أنني شككت في أن أذنيه كانتا لا تزالان ترتعشان ، كأنهما تواصلان الهمس قائلتين : « أنقذونى من الأشباح » !

وسألته « سلمى » : هل حاولت الأشباح إيذاءك مرة أخرى ليلة أمس عندما تركناك وحدك بعد أن أصابك رمحها ؟

ارتعد « جمعة » وقد تذكر ما حدث وقال : لقد

عاد شبح ذلك الفارس واسترد رمحه ، ثم صفعنى على وجهى ففقدت الوعى حتى الصباح .

قلت متعجباً : هذه أول مرة أشاهد فيها شخصاً يفقد الوعى ويبقى واقفاً !

وسأل « سالم » « جمعة » : ماذا حدث فى منزل جدك « العمدة » قبل أن تجىء إلينا ؟

أجابه « جمعة » : لقد شاهدت عشرات الفلاحين يذهبون إلى هناك فيمنحون الأموال للساحر الهندى العظيم ، ويكدسون الغلال فى شونة العمدة ، وكذلك الأبقار والمواشى ، انتظاراً لأن ينقلها الساحر العظيم إلى منزله الكبير .

سألته فى دهشة : وهل أصبح للساحر الهندى منزل فى قريتنا ؟

أجاب « جمعة » : نعم ، فإن بعض الفقراء ممن لم يستطيعوا دفع ما أمرت به الأرواح الشريرة ، أعطوا منازلهم للساحر ، الذى قرر أن يبنى منزلا فاخرا يقيم فيه مع حيوانات السيرك .

قالت « سلمى » متألمة : وأين سيذهب هؤلاء

الفلاحون الفقراء المساكين بعد أن تنازلوا عن بيوتهم ؟

« جمعة » : سوف يغادرون قريتنا إلى أماكن أخرى .

سالم : وجدك .. هل منح الفدانين للساحر العظيم ؟

أجاب جمعة : نعم .. وسمعت الساحر العظيم يقول لجدى أنه سيقوم بتجريف هذين الفدانين ويبيع طميهما إلى مصانع الطوب بآلاف الجنيهات !

احتد « سالم » قائلا : ماذا .. هل سيقوم هذا الساحر الخبيث بتجريف الأرض الزراعية .. هذا مستحيل وسأمنعه من ذلك !

سألته متعجباً وأنا أحدق فيه : ثم كيف ستمنعه من ذلك .. أى قوة سحرية تملكها ؟

أجاب « سالم » فى حيرة وألم : ولكن من المفروض أن نفعل شيئاً .. يجب ألا نسمح بتجريف أى قطعة من أرض قريتنا الطيبة وتحويلها إلى طوب .. ففى ذلك تخريب لثروتنا الزراعية .. ولو

قام كل فلاح بتجريف أرضه الزراعية ، لما وجدنا أرضاً نزرعها بعد ذلك ، ولا أى محاصيل لنأكلها .

وأطرق برأسه حزيناً فنظرنا إليه أنا و« جمعة » بإعجاب ، إذ كان « سالم » يتحدث أحياناً عن أشياء لا نفهمها مثل تجريف الأرض الزراعية وثقب الأوزون - كان « جمعة » يدعوه بثقب « الأمازون » - .. وكنا لا نفهم فى هذه الأمور أنا و « جمعة » ، ولا نجيد شرح وجهات نظرنا فيها عكس « سالم » .

ولكن إذا استدعى الأمر شرح كيفية صيد اليمام بالفخاخ ، أو أفضل الطرق فى الهرب من العقاب المدرسى لعدم القيام بعمل الواجب أو كيفية اصطياد كلب شارد أو قطة بائسة ، فقد كنا أنا و « جمعة » عباقرة فى هذا الشأن !!

قالت « سلمى » متحيرة : وكيف سنمنع الساحر العظيم أن يفعل ما ينويه بأرض « العمدة » ؟

ثم أضافت غاضبة : إن كل هذه الكوارث لم تحل على قريتنا إلا منذ وصول هذا الساحر !

تنبهت أنا إلى تلك الحقيقة ، وقلت مندهشاً : هذا

صحيح ، وبعد أن كان قرد هذا الساحر يجمع القروش بالأمس ، صار الساحر يجمع عشرات الألوف من الجنيهات اليوم ، وما يدرينا ماذا سيجمع غداً من سكان قريتنا المساكين ؟

حملق « سالم » فىّ وأمسك بى من كتفى وقد التمعت عيناه ، وراح يهزنى بشدة هاتفاً : يا لها من ملحوظة ذكية يا « علاء » .. كيف فاتنى مثل هذه الملحوظة ؟

ولم أدر عمَ يتحدث « سالم » ، إذ أن ما نطقت به كان شيئاً عادياً .. ولكن ربما أن « سالم » رأى الأمر بوجهة أخرى .. والأمر طبعاً يتوقف على الزاوية التى تنظر منها .. وعادة فإن « سالم » عندما تفلت منه ملحوظة ذكية فإنه كان يتضايق بشدة ، تماماً كما تصوب أنت حجراً إلى « بومة » غبية لتقتلها فتهرب منك فى اللحظة الأخيرة لتدهسها سيارة عابرة !!

وسألته « سلمى » : ماذا تقصد يا « سالم » ؟

أما « جمعة » فأخذ يحك قفاه فى تساؤل واضح . وأجاب « سالم » بصوت منفعل : إن تلك الأرواح

الشريرة لم تظهر فى قريتنا بالفعل إلا بعد مجىء الساحر إلينا .. فهل هى مجرد صدفة ؟

سألته باهتمام : ماذا تقصد ؟

أجابنى « سالم » : لماذا لا يكون هذا الساحر الهندى هو من أطلق تلك الأرواح الشريرة من المكان الذى كانت تعيش فيه قبلا ؟

عاود « جمعة » حك قفاه بسرعة أكبر قائلا بغباء لا مزيد عليه : لست أفهم شيئاً !

وقلت أنا بدهشة لـ « سالم » : هل تقصد أن هذا الساحر الهندى قد تمكن بقدرته السحرية من إحضار هذه الأرواح الشريرة لتؤذى قريتنا وتخيف سكانها ؟

« سالم » : هذا هو ما قصدته بالضبط !

« جمعة » : ولماذا يفعل الساحر الهندى ذلك ؟

تساءل « جمعة » وهو يواصل الهرش بسرعة مكوكية ، تدل على المدى الذى وصلت إليه حيرته !

أجابه « سالم » : إن السبب واضح ، وهو أن يحصل هذا الساحر من سكان قريتنا على المال والمحاصيل والمواشى وكل شىء ، مقابل أن يعيد تلك

الأرواح الشريرة إلى المكان الذى جاءت منه ، ولولا أنه يريد أن يجمع مالاً كثيراً ، لما أراد تجريف فدانى « العمدة » ليبيع طميهما إلى قمائن الطوب ويحصل على ثمنها ، فى حين أن الحكومة تمنع ذلك .. فهو مستعد لأن يفعل أى شىء مقابل المال كما نرى ، وشخص بمثل هذه الأخلاق لا يمكن أن يكون شخصاً أميناً !

تحمست أنا فى غضب قائلاً : هذا الساحر الشرير .. علينا إيقافه بأى وسيلة وفضح حيلته !

ونهضت واقفاً فى حماس شديد كما فعل « نابليون » حينما قرر غزو « عكا » .. ثم عاودت الجلوس بعدها ببطء ، تماماً كما فعل « نابليون » عندما فشل فى غزو « عكا » .. فقد فكرت أنه ليس من الحكمة محاربة ساحر شرير بقليل من الحماس !

وتساءلت فى قلق : ولكن كيف سنتأكد من ظنوننا بشأن هذا الساحر ، وأنه السبب فى كل ما يحدث لقريتنا من أعمال شريرة ؟

تقاربت رؤوسنا ، وهمس « سالم » : علينا أن نقوم بمراقبة هذا الساحر ونتأكد مما يفعله ، فإذا

صحت شكوكنا وضعنا الخطة المناسبة لكشفه والإيقاع به .

هتفت جذلاً : خطة رائعة جداً !

« سالم » : ولكن المهم من سيقوم بمراقبة هذا الساحر الشرير ؟

على الفور تحولت نظراتنا إلى « جمعة » فى تلقائية غريبة .. فإذا كان هو من عضته روح الكلب الشريرة عندما طاردتنا ، وهو وحده من أصابه رمح الأشباح الشريرة ، وبذلك يكون بين الطرفين ثأر قديم يجب تصفيته .. وبالطبع فما كنا نرضى لـ « جمعة » صديقنا وقائد فريق مغامراتنا ، ألا يصفى ثأره ، وخاصة مع بعض الأرواح الشريرة التافهة !

ولكن « جمعة » انتفض صارخاً وهو يقول : لا .. هذا مستحيل .. الموت أهون عندى من مراقبة هذا الساحر !

قال « سالم » فى هدوء : إن الفرصة متاحة لك يا « جمعة » لتفعل ذلك دون خطر ، فأنت تعيش فى منزل جدك « العمدة » ، فى نفس المكان الذى يقيم

فيه الساحر ، وسيكون سهلاً عليك مراقبته دون خطر .

وأضفت أنا : وذلك الساحر الشرير لن يشك فيك يا « جمعة » أويتوقع منك أى خطر ، لأنه سيظنك غبياً ، وخاصة بسبب ملامح الغباء المرتسمة على وجهك !

ظهر القلق على وجه « جمعة » ، وقالت سلمى : هناك عمل يجب أن نقوم به ..

أولا .. فقد لاحظنا أن الساحر الهندى يقوم بكل أعماله مستخدماً بلورته المسحورة .. ولذلك علينا أن نستولى عليها أولا حتى نضعف من مقدرته السحرية !

فسألها « جمعة » فى غباء : ولكن من سيسرقها منه ؟

مرة أخرى جاوبته نظراتنا ، فانتفض « جمعة » وراح يرتعد عندما فهم أنه المقصود .. وأظن أنه كان مستعداً لأن يسرق حية « كوبرا » سامة طولها عشرة أمتار ويخفيها فى جلبابه ، على أن يسرق تلك البلورة المسحورة ويخفيها فى ملابسه !!

وشجعته « سلمى » قائلة : هيا يا « جمعة » .. إن الوقت يمضى .. وعليك أن تثبت لنا شجاعتك !

فنظر إليها « جمعة » كما لو أنها تتحدث عن شىء خرافى كالعنقاء .. فإذا كان لهذه العنقاء وجود فى العالم ، فربما يكون هناك أمل فى وجود شجاعة « جمعة » أيضاً !!

ونهض « جمعة » مترنحاً .. وكنت أشفق عليه ، إذ أننى أعرف أن الشجاعة ليست من الأشياء التى يتمتع بها .

وهمس له « سالم » : سننتظرك هنا فى المساء فلا تتأخر .

واختفى « جمعة » عن أنظارنا فقضينا بقية اليوم أنا و « سلمى » و « سالم » فى بعض الألعاب .

وجاء المساء سريعاً ..

وتوقفنا عن اللعب ورحنا ننتظر عودة « جمعة » ..

ومرت أكثر من ساعة دون أن يأتى ، فأصابنا

القلق ، وهمست « سلمى » تقول : هل تظنون أن « جمعة » قد أصابه مكروه ؟

هتف « سالم » قائلا وقد أشرق وجهه بالأمل : ها هو قد جاء .

وشاهدنا « جمعة » عائداً إلينا بنفس الطريقة التى ذهب بها ، وهو يترنح كالدراويش ، فأسرعنا إليه وأحطنا به ، وسألته « سلمى » فى لهفة : هل حصلت على البلورة المسحورة يا « جمعة » ؟

فأجابها « جمعة » بهزة نفى من رأسه .

وسألته أنا فى غضب : ولماذا لم تستول عليها ؟

فأشار « جمعة » ببعض الإشارات الغامضة ، وهو يصدر أصواتاً عجيبة كما يفعل الخرس ، فهتفت به فى غضب أكبر : لماذا لا تنطق أيها الغبى ؟

ولكن « سالم » قال : لقد فهمت إشاراته .. إنه يقول أن الساحر قد أمسك به وهو يحاول الحصول على البلورة .. أليس كذلك يا « جمعة » ؟

هز « جمعة » رأسه بنعم !

وسألته أنا فى قلق : وماذا فعل الساحر بعد أن أمسك بك ؟

فأشار « جمعة » إلى لسانه إشارة بليغة لم تكن فى حاجة إلى أى شرح .

مسكين « جمعة » .. لقد عاقبه الساحر بأن أصابه بالخرس !!

* * *

إعلان بالحرب !!

أصابنى غضب هائل لما جرى لـ « جمعة » وصحت : يجب الانتقام من هذا الساحر الشرير لما فعله بصديقنا « جمعة » .. فماذا سيقول صديقنا المحافظ إذا سمع بما جرى لـ « جمعة » ، وكيف أننا لم نثأر له .. إنه قد يتخلى عن صداقته لنا !!

قالت « سلمى » متحيرة : وماذا سنفعل مع هذا الساحر الشرير ؟

أجبتها : الحرب .. وليس أقل من ذلك مهما كان عدد الضحايا !

قال « سالم » فى قلق : ولكن ، لن يكون هناك ضحايا غيرنا !

ارتديت قبعة القتال فوق رأسى

أجبته : يكفى أن كل كتب التاريخ ستذكر أننا حاربنا من أجل رد الاعتداء الذى وقع على صديقنا « جمعة » .. وسيقول كل تلاميذ الابتدائى ، عندما يستذكرون تلك الموقعة فيما بعد ، إننا كنا أولاداً شجعاناً ودافعنا عن صديقنا حتى الموت (موت جمعة طبعاً) !

ولوّحت بيدى قائلا : والآن انتظرونى لحظة فسأذهب إلى منزلى لآتى بقبعة الحرب .. فبدونها سنلاقى هزيمة شنيعة ، فليس هناك قائد يذهب إلى القتال ، دون ارتداء قبعة حرب !

وانطلقت إلى منزلى جرياً ، وأنا أسمع « سالم » يضرب كفاً بكف وهو يقول : يبدو أن « علاء » قد جن .. ها قد لحقت الخسائر بنصف فريقنا ، فأحدنا أصابه خرس والثانى فقد عقله !

ولكن هل تظنون أننى كنت أعبأ بمثل تلك الكلمات ؟

ولو كان « نابليون بونابرت » قد استمع لكل نصائح المحيطين به ، لما جرؤ حتى على فتح باب بيته ، وليس فتح البلدان الأخرى !

انتزعت قبعة القتال من فوق المسمار المعلقة به على حائط حجرتى (وهى على شكل قبعة قرصان مات منذ سنوات طويلة متأثراً بعضة كلب ، وإننى أتعجب من أين أتى ذلك الكلب ليعقره فى قلب البحر) !!

سألتنى جدتى فى قلق : أين ستذهب فى هذا الوقت المتأخر ؟

أجبتها فى غموض : سأذهب لقتال ساحر شرير يريد أن يسرق أهالى قريتنا ويستولى على أموالهم وممتلكاتهم !

وانطلقت إلى بقية الفريق فوجدتهم فى وضع استعداد للهجوم .. إذ ارتدت « سلمى » أجمل فساتينها فصارت تشبه الملكة الجميلة القديمة « نفرتيتى » .. أما سالم فكان يشبه فارساً من فرسان العرب الشجعان وقد تسلّح بنبلة لصيد الحمام فى يده ، إذ أنكم تعرفون ولا شك أنه قد بطل استخدام السيوف والسهام فى الحروب هذه الأيام !

أما « جمعة » فكان يشبه أسيراً بائساً سقط فى يد قائد لئيم !

ولوحت بقبعتى صارخاً : إلى الأمام ..

وهكذا بدأت الحرب !!

انطلقنا نعدو إلى منزل « العمدة » وقد زايلنا الخوف تماماً . وحتى « جمعة » بدت عليه الشجاعة لأول مرة فى حياته كأنما هى « حلاوة روح » قبل أن يفقد روحه !

وتسللنا إلى داخل حظيرة « العمدة » ، إذ كنا نرغب فى القيام بحركة التفاف واسعة نقوم فيها بحصار قوات العدو - وهى الكلب « سعدون » والقرد « ميمون » والحصان « حمدون » - ولكننا اندهشنا لأننا لم نعثر على أى منهم داخل الحظيرة التى امتلأت بعشرات الحيوانات التى أحضرها أهل قريتنا إلى ذلك الساحر استرضاء للأرواح الشريرة .

وتساءلت « سلمى » فى دهشة : أين ذهبت قوات العدو ؟

أجبتها بلهجة الفارس المحنك : لابد أنها انسحبت أمام قوة ضرباتنا !

قال « سالم » مندهشاً : ولكننا لم نبدأ الضربات بعد ؟!

تنبهت إلى ذلك ، وأصابتنى الدهشة لانسحاب قوات العدو على ذلك النحو الغامض ، وهو أمر كان سيندهش له « هتلر » الشرير نفسه إذا ما واجهه !!

وتلفت « سالم » حوله ثم همس : دعونا نفتش منزل « العمدة » .. ولنبدأ بحجرة ذلك الساحر الهندى .

وافقت بهز رأسى وأشرت للباقين أن يتقدموا باعتبارهم الطلائع ، على أن أبقى أنا فى الحظيرة لحماية المؤخرة ، فى حين أنه لم تكن هناك أى مؤخرة بحاجة إلى الحماية !!

ولكن « سالم » جذبنى من يدى قائلا : هل ستهرب قبل أن تبدأ المعركة ؟

أصابنى خجل أمام نظرات « سلمى » ، إذ لم يكن ذلك هدفى بأى حال من الأحوال ، ولكن كيف أشرح لهم ما كنت أنوى تنفيذه من تكتيك عسكرى متقدم ، يبقانى بعيداً عن مواقع التلاحم والقتال ، لتأمين الجبهة الخلفية للمعركة ؟

تسللنا إلى داخل المنزل من باب جانبى .. وراعنا السكون والهدوء المسيطران على المكان الذى امتلأ

بتلال من أجولة القمح والذرة والفول وغيرها ، والتى أحضرها سكان قريتنا للساحر ، إرضاء للأرواح الشريرة .. التى تبدو وكأنها تنوى أن تعمل بالتجارة فى مثل هذه الأشياء !!

ولمحنا « العمدة » راقداً على فراشه ، وحاولنا إيقاظه عبثاً ليشاركنا المعركة .. ولكنه كان يبدو كما لو أنه غائب عن وعيه .

تسللنا مرة أخرى إلى حجرة الساحر .. وأدهشنا أن وجدنا بابها مفتوحاً ولا أحد بها .. وكانت كل أشياء الساحر الهندى ملقاة فى أماكنها داخل الحجرة .

أشرت للباقين أن يصمتوا .. ودخلنا المكان على أطراف أصابعنا .. وكان أول ما لفت انتباهنا هى الملابس السوداء التى كانت ترتديها الأشباح التى طاردتنا بالأمس .. كانت الملابس ملقاة بإهمال فى أحد الأركان ، فقال « سالم » فى انتصار : ألم أخبركم أن هذا الساحر هو من أطلق هذه الأشباح ، وها هى ملابسها قد أودعتها أمانة لديه !

وصاحت « سلمى » أيضاً : انظروا .. ها هى

آذان عنزات العمدة المقطوعة .. يبدو أن الأرواح الشريرة قد أودعتها أمانة أيضاً لدى الساحر !

نظرنا إلى الآذان المقطوعة فى قلق شديد . وتحسست أذنى خوفاً .. إذ ليس من المستحب لى أن تحصل عليها أى روح شريرة ، لتعلقها فوق الحائط ذكرى انتصارها !

واندهشت عندما شاهدت جمجمة فى أحد الأركان ، وكانت مطلية باللون الأسود ، وقد زين حواف العينين والحاجبين والأنف والفم ، طلاء فوسفورى يجعلها تلمع بشدة خاصة فى الظلام !

همست للباقين : انظروا إلى هذه الجمجمة .. أليست هى جمجمة ذلك الشبح الذى شاهدناه أمس مساء وكانت تلمع كأنها جمجمة شيطان ؟

تأمل الباقون الجمجمة ، وتساءلت « سلمى » فى حيرة : ما معنى ذلك ؟

والتقط « سالم » حربة طويلة فى أحد الأركان وقال : هذه أيضاً هى الحربة التى ألقاها شبح الفارس نحو « جمعة » !

أما « جمعة » -الأخرس- فراح يعبث فى المكان كأنه يبحث عن شىء خاص ، ثم صاح فى صوت يشبه الصهيل من شدة فرحه ، وما أن ألقينا نظرة إلى ما عثر عليه ، حتى احتبست أنفاسنا من شدة الإثارة !

كان ما عثر عليه جمعة هو البلورة المسحورة !

اقتربنا من البلورة وأنفاسنا تتلاحق .. وما أن لمسها « سالم » بأصابعه من قاعدتها حتى انبعث منها ضوء شديد ، فصرخ « جمعة » من المفاجأة ولكنى أسرعت بتكميم فمه خشية افتضاحنا . ورحنا ندقق داخل البلورة المسحورة . وهنا علا وجهنا ذهول بالغ عندما اكتشفنا الحقيقة .

أتدرون لماذا أضاءت البلورة فجأة .. ذلك لأنه كان بداخلها مصباح كهربائى ، لا يظهر إلا لمن يدقق فيه النظر بسبب سمك زجاج البلورة التى يمتد من مؤخرتها سلك كهربائى يمكن إيصاله بمصدر كهربائى ، وإخفاء السلك دون أن يلاحظه أحد ، وعندما لمس « سالم » قاعدة البلورة ، فقد ضغط على زر إضاءتها دون أن يقصد !

قال « سالم » فى دهشة : ما معنى ذلك .. إن هذه البلورة ليست مسحورة ، وهى تضىء بالتيار الكهربائى وليس لأنها بلورة مسحورة !

قلت محتجاً : ولكنها قادرة على معرفة كل شىء عن أى إنسان ، فقد كان الساحر ينظر إليها ، ثم يعرف كل شىء عن الشخص الواقف أمامه .. ومن ثم فهى بلورة مسحورة !

دققت « سلمى » النظر داخل البلورة ، ثم اتسعت عيناها ذهولا وقالت : لقد تكشف السر .. تعالوا وانظروا .

نظرنا جميعاً من زاوية خاصة كان زجاج البلورة فيها يبدو مختلفاً ، وبنظرة واحدة أدركنا أن الزجاج فى تلك الزاوية عبارة عن عدسة مكبرة ، وأمامها داخل البلورة قد وضعت قائمة كبيرة فيها مئات الأسماء ، وقد كتبت بخط دقيق جداً ، كانت القائمة تشمل أسماء كل سكان قريتنا ، وأمام كل اسم معلومات كاملة عن هذا الشخص ، وبنظرة واحدة من زجاج البلورة ، يمكن للإنسان مع شىء من التدقيق ، قراءة اسم أى شخص وكل المعلومات

عنه ، بعد أن تقوم عدسة البلورة بتكبير الخط عدة مرات فيسهل قراءته !!

كان ما شاهدناه فى تلك اللحظة أمراً يبدو غير مفهوم على الإطلاق !

* * *

الساحر المزيف

تساءلت ذاهلاً وأنا أرفع عينى عن البلورة : ما معنى ذلك ؟

هتف « سالم » فى انفعال : إن المعنى واضح .. لقد خدعنا هذا المحتال ، إنه ليس ساحراً هندياً كما يدّعى ، بل مجرد محتال ، استعان بشخص ما من قريتنا وحصل منه على معلومات عن كل فرد من سكانها ، وكتب تلك المعلومات بخط دقيق داخل البلورة ، وراح يقرؤها أمامنا كأنه يستلهم السحر من البلورة التى تدله على معلومات عن كل إنسان منا .. ونحن نظنه ساحراً هندياً يعرف كل شىء !

قالت « سلمى » متحيرة : ولكننا رأينا هذا الساحر وهو يحوّل قطعة حبل إلى ثعبان التف حول ساقى جدة « علاء » .. فما تفسير ذلك ؟

أجابها « سالم » مقطباً : لقد قرأت شيئاً مماثلا يفعله حواة « الهند » .. فما فعله هذا الساحر المزيف هو نوع من أنواع « الإيهام » ، وصاحبه يملك قدرة ذهنية خاصة تجعل الواقفين حوله يتوهمون رؤية أشياء غير صحيحة ، وهو ما حدث للجدة ولنا ، فقد توهمنا أن الحبل قد تحوّل إلى ثعبان ، ولو حدث هذا بالفعل للدغ الثعبان الجدة .. وحتى النار التى أحسسنا أنها اشتعلت خلفنا وقتها ، كان مجرد إيهام وليست ناراً حقيقية . وإلا لأحرقت المكان !

قلت مذهولا : يا له من ساحر محتال ماكر شرير ..

ثم تساءلت مندهشا :

ولكننا سمعنا صوت الأرواح الشريرة هذا الصباح عندما استدعاها هذا الساحر .. فما تفسيرها ؟

أجاب سالم : لقد وضح كل شىء .. إن هذا الشرير

قادر أيضاً على إصدار الأصوات من بطنه ، فيظن من يسمعها أنها صادرة من الهواء أو من مخلوقات غير مرئية .. فلى صديق فى « القاهرة » قادر على أن يفعل ذلك .. أما ذلك الكلب الذى يمتلكه هذا الشرير ، فهو من النوع المدرب ، فعندما يتقدم أى شخص منه ليكشف عمره ، فإن الكلب لو لاحظتم كان يُلقى نظرة إلى عربة السيرك أولا ، وبداخل هذه العربة كان يختفى الساحر المحتال ، الذى كان يعطى إشارات معينة للكلب ، وعلى أساسها يختار الكلب الرقم الصحيح ، فكل إشارة من الساحر للكلب تعنى رقماً وبالتدريب يمكن للكلب أن يترجم تلك الإشارات إلى أرقام .. وكان الساحر يعرف عمر كل فرد فى قريتنا من المعلومات المدونة فى البلورة .. وهكذا فإن الأمر ليس فيه أى سحر على الإطلاق !

قالت « سلمى » : هذا مذهل !

أما « جمعة » فراح يصدر أصواتاً لامعنى لها وقد عاوده الرعب ، وترجمت أنا إشاراته قائلا : إن « جمعة » يتساءل من أين إذن أتت هذه الأشباح التى شاهدناها أمس مساء وطاردت كل سكان القرية ؟

ظهر التفكير العميق على وجه « سالم » وقال متحيراً : هذه هى النقطة الغامضة فى الأمر كله .. ولكن يمكن تفسيرها بشىء من التفكير والتحليل .. إن ذلك الحصان الذى كان يركبه الشبح يمكن أن يكون هو الحصان « حمدون » بعد أن تغطى برداء أسود ، وهو حصان سريع قوى عكس ما يدل عليه مظهره ، أما الفارس المغطى بالأسود فيمكن أن يكون هو القرد « ميمون » ، وعندما كان يقفز لأعلى فوق ظهر الحصان ، كنا نظن أن الفارس يطول ويقصر فوق الحصان مثلما تفعل الأشباح والعفاريت فى الحكايات ، وقد شاهدنا مهارة هذا القرد فى التصويب بالأطباق ، ولذلك سيكون من السهل عليه استخدام الحربة وتصويبها بدقة .. كما فعل مع « جمعة » . أما ذلك الشبح الآخر القصير فمن الممكن أن يكون هو الكلب « سعدون » ، وقد ثبت فوق ظهره بعض العوارض الخشبية وتلك الجمجمة المطلية بالفوسفور ، وإذا ما تغطت كل هذه الأشياء بالملابس السوداء وجرى الكلب بها فى الظلام ، ظنه من يراه شبحاً قصير القامة .. ولابد أن ذلك الساحر المزيف قد درّب حيواناته على تلك

الأفعال الشيطانية ، بحيث تخرج من مكانها وتعود إليه دون أن يلمحها أحد .. ويظن من يشاهدها أنها أشباح لأرواح شريرة .. على حين أنه ليست هناك أشباح لأرواح شريرة ، إلا فى رءوس الأطفال والأغبياء وحكايات الجدات !

نظرت إلى « سالم » فى إعجاب بالغ .. إذ كان يبدو وكأنه ساحر قادر على استنتاج أشياء يستحيل على الآخرين استنتاجها .. وربما لولا ارتدائى قبعة الحرب لأمكننى استنتاج نفس الأشياء ، إذ أن تلك القبعة - بسبب ضيقها - كانت تمنعنى من الاستنتاج والتفكير الصحيح ، ومن ثم فليس غريباً أن « نابليون » قد انهزم فى معركة « واترلو » ، مادام قد أصر على ارتداء قبعته الشهيرة إلى النهاية !

قالت « سلمى » متحيرة : ولكن تلك الجيفة التى شاهدنا روحها الشريرة تخرج من قبرها وتطاردنا تعقر « جمعة » فى ساقه و ...

قاطعها « سالم » قائلاً : إنها لم تكن الجيفة ، بل أراد هذا الساحر المزيف الشرير خداعنا ، ولابد أنه

علم بأمر تلك الجيفة وشاهدنا ونحن ندفنها فاستغل هذا الأمر ، ودفن كلبه بالقرب منها ، بحيث يخرج هذا الكلب من مكانه ويطاردنا ، فنظن فى الظلام أنها الجيفة ذاتها ، وكان هدف هذا الشرير من ذلك أن يجعلنا نروى لأهل قريتنا هذه القصة ، تمهيداً لظهور بقية الأشباح المزيفة بعد ذلك ، حتى يصدق الجميع حكاية الأرواح ، وتأكيداً على ذلك ، فقد جعل قرده يحرق محصول عم « جاد الكريم » ويخنق عنزات العمدة ويقطع آذانها ثم يشعل النار فى برج الحمام الخاص بـ« أم حليمة » ، حتى يلقى الفزع فى قلوب سكان قريتنا البسطاء ، الذين يصدقون أى شىء بسبب طيبتهم ، وخاصة ما يتعلق بالأشباح والعفاريت والأرواح الشريرة !

حملقت فى « سالم » بفم مفتوح عن آخره .. إذ كانت له استنتاجات رائعة ، من المؤسف أنه لم يكن بالمستطاع مذاكرتها فى دروس الجغرافيا أو التاريخ .. أو أخذ دروس تقوية فيها .. وبالتأكيد فإن طبيب مجلة « ميكى » ، لم يكن من الممكن أن يفيدنى فى هذا الشأن !!

وهكذا بدا لنا الأمر على وجهته الصحيحة .. فلم يكن ذلك الرجل ساحراً هندياً ، ولا حتى ساحراً محلياً .. كان مجرد محتال استعان بدهائه وحيواناته المدربة لخداع أهل قريتنا البسطاء والحصول على أموالهم وأملاكهم وماشيتهم .

ولكن .. إذا كان قد استطاع خداع الجميع ، فهل كان باستطاعته خداعنا نحن الأذكياء ؟؟

وأشار « جمعة » إلى لسانه مستفسراً كأنه يسألنا .. فإذا كان الساحر ليس ساحراً ، فكيف أمكنه أن يجعل لسانه يشل ويتوقف عن النطق ؟

أجابه « سالم » : إنه الإيحاء يا « جمعة » ، لقد أوحى لك هذا الشرير بأنك أخرست ، وقد صدقته أنت لأنه كان لديك استعداد لتصديق ذلك .. ولكن بقليل من الإرادة يمكنك أن تعاود النطق .

حاول « جمعة » النطق بلا فائدة .. وأصدر أصواتاً هى خليط من النباح والمواء والعواء والصهيل والزمجرة .. غير أنه لم ينطق بكلمة مفيدة واحدة ، وهو ما كان يؤهله للظهور فى برنامج عالم الحيوان !!

وارتسمت فى عينى « جمعة » نظرة يائسة ، لقد أصيب بالخرس ولن ينطق أبداً . فقال « سالم » : إنه بحاجة الى صدمة طبية لكى يستعيد قدرته على النطق .

وكان على مساعدة « جمعة » بوسيلة مضمونة ، ولما كنت خبيراً فى إحداث مثل ذلك النوع من الصدمات الطبية .. لذلك اندفعت إليه وركلته بشدة فى ساقه ، فسقط على الأرض صارخاً : ساقى .. لقد انكسرت ساقى أيها المتوحش !

وقفزت أنا فى سعادة .. لقد تمكنت من أن أجعل « جمعة » يستعيد قدرته على النطق .. ومن المؤكد أنه كان ينتظرنى مستقبل باهر كطبيب وخاصة فى إحداث مثل تلك الصدمات « الطبية » !

غير أنه كان لما فعلت نتيجة هامشية غير متوقعة .. وعادة فإن هذه النتائج الجانبية تكون أسوأ أثراً من النتائج الرئيسية !

فقد اكتشف ذلك الساحر المزيف وحيواناته وجودنا فى الحجرة عندما صرخ « جمعة » .. وفى

لحظة واحدة وجدنا أنفسنا محاصرين بهم داخل الحجرة وقد سُدَّت كل منافذ الهرب !

لاتلومونى ، فقد صرنا فى موقف كان « الإسكندر الأكبر » سيصاب فيه باليأس دون شك إذا ما واجهه !

* * *

الجدة البطلة !

كان ذلك الساحر المحتال وقرده « ميمون » جالسين فى حجرة مجاورة دون أن ننتبه إليهما ، وقد راحا يحصيان ما جمعه الساحر من مال أتى به سكان القرية . وما أن سمعا صرخة « جمعة » حتى اندفعا نحونا وخلفهما الكلب « سعدون » والحصان « حمدون » فى حصار رهيب !

وحدَق فينا الساحر المحتال فى دهشة عظيمة ثم قال : أنتم .. كيف دخلتم إلى هذا المكان ؟

لم نستطع الرد ورحنا نرتعد كما لو كنا فئراناً صغيرة غبية ، يحاصرها قط شرس ، أما القرد

« ميمون » فكشر عن أنيابه بطريقة مخيفة . ونبح الكلب « سعدون » مكشراً عن أنيابه أيضاً . أما الحصان « سعدون » فراح يرفس الهواء من الخلف ، وقد بدا أن الجميع يستعدون للانقضاض علينا !

وانهار « جمعة » متوسلا يقول للساحر المحتال : أرجوك لاتقتلنى أيها الساحر الهندى العظيم .. وأنا مستعد لأن أمنحك مصروفى بقية عمرى !

فحدَق فيه الساحر فى دهشة وقال : كيف استعدت قدرتك على النطق ؟

فاندفعت « سلمى » نحوه فى شجاعة قائلة : أيها المحتال ، هل ظننت أنك ستخدعنا ، لقد اكتشفنا حقيقتك ، وسر تلك الأرواح الشريرة الكاذبة وبلورتك المزيفة .. وسنخبر الجميع عن الحقيقة .

صاح الساحر فى غضب : إذن فقد اكتشفتم كل شىء أيها الخبثاء .. ولكنكم لن تعيشوا لتحكوا لاحد عما اكتشفتموه .

ولكنى ، وكعادتى دائماً فى أننى السباق إلى أخذ المبادرات ، وحيث إننى كنت أرتدى قبعة الحرب ، لذا كان من المنطقى أن أصيح فى رفاقى لكى نبدأ هجومنا على الأشرار : إلى الحرب أيها الرفاق !

ولكننى وجدت نفسى أصرخ بدلاً من ذلك قائلاً : إلى الهرب أيها الرفاق !!

وذلك باعتبار أنه لا فارق بين كلمتى « الحرب » و « الهرب » غير حرف واحد وأن الكثيرين يختلط عليهم الأمر بين الاثنين !!

وقفزت من مكانى بسرعة فمرقت من وسط القرد « ميمون » والكلب « سعدون » ، وعبرت من تحت بطن الحصان « حمدون » ، مخترقاً كل الحصون والموانع ، ولكن ، وقبل أن أصل إلى باب المنزل ، صاح الساحر فىَ من الخلف : توقف مكانك أيها المخادع . ورغم أن ساقى اليمنى كانت تتأهب للجرى واليسرى تتأهب لأن تتبعها فى سرعة عظيمة ، وبرغم أننى كنت مندفعاً بقوة كبيرة ، إلا أننى جمدت مكانى مثل إنسان آلى توقفت طاقته

فجأة . وأحسست أننى شللت تماماً حتى أننى أصبحت غير قادر على التنفس !

واستدار الساحر نحوى وقد التمعت عيناه فصارتا مثل جمرتى نار ، وقال فى بطء : إنك لن تستطيع الحركة إلا عندما أمرك بذلك ، ولو تركتك مكانك مائة عام ، فسوف أقوم بتنويمك مغناطيسياً !!

وراح يشير بأصابعه أمام عينى ، فأحسست كأننى أسقط فى بئر عميقة وأنام ، برغم عينى المفتوحتين ، ورؤيتى لكل ما حولى !

وتركنى الساحر واندفع إلى الباقين ، وكانوا يصيحون ويصرخون مستنجدين ، ولكنى سمعت ذلك الساحر الشيطانى يقول لهم : أنتم أيضاً ستجمدون مكانكم ، ولن تستطيعوا الحركة إلا عندما أمركم بذلك !

وفجأة خرست صرخات الجميع .. وحدث لهم نفس الشىء .

وسمعت الساحر يقول لحيواناته : إن هؤلاء

الأولاد خطرون جداً ، لقد اكتشفوا كل شيء وإذا أخبروا سكان القرية بحقيقتنا فسوف يستردون منا ما أخذناه منهم ، وربما يلقون بنا فى السجن .

وهنا نبح الكلب « سعدون » وزام القرد « ميمون » وصهل الحصان « حمدون » فى غضب ، كأنهم قد فهموا ما قاله الساحر ، وأنهم لا يريدون أن يفقدوا ما حصلوا عليه أو أن يذهبوا إلى السجن ، إذ ربما كان فى مخططهم أن يزوروا العالم فى باخرة وبالدرجة السياحية مثل رجال الأعمال !

فقال لهم الساحر : حسناً .. ساعدونى على كتمان سرنا إلى الأبد ، سوف نحفر حفرة كبيرة فى هذا المنزل ، ندفن فيها هؤلاء الأولاد فيموتوا مختنقين ، ويموت السر معهم ، دون أن يدرى أحد بمصيرهم أو مكانهم !

كدت أبكى رعباً وهلعاً ، إذ ليس من الأمور المستحبة أن يدفن الإنسان وهو حى ، وأدركت حقيقة شعور « نابليون » عندما وقع فى الأسر بعد هزيمته ، وتركوه يموت مثل كلب مريض !

واندفع الساحر وحيواناته يحفرون أرضية

الحجرة ، ويهيلون التراب إلى جوانبها ، وقد استعدوا لدفننا فيها ، وتحركت عيناى ووقع بصرى على « سلمى » ، فرأيت الحزن مرتسماً فى عينيها ، وهى لا تقدر حتى على البكاء .

آه يا « سلمى » ، لكم أثرت فىّ تلك النظرة الحزينة ، وأنا لا أستطيع أن أمد لها يد المساعدة - برغم ارتدائى قبعة الحرب - ولكن ، لعلنى ارتديتها بطريقة خاطئة .. مما تسبب فى كل هذه الكوارث لنا !!

وأنهى الساحر وحيواناته صنع الحفرة ، وكانت تصل إلى عمق ثلاثة أمتار تحت الأرض وباتساع نصف الحجرة ، فقال الساحر لحيواناته : والآن دعونا نلقى هؤلاء الأولاد فى الحفرة ونردمها بسرعة قبل أن يجىء أحد إلى هنا .

و « لكن » ..

وما أجمل كلمة « لكن » عندما تعترض أمراً سيئاً كهذا .

أقول « ولكن » حدث أمر غير متوقع ، فقد جاء صوت من مدخل المنزل يقول :

أين أنت يا علاء .. أين ذهبت يا صغيرى ؟

فهتف الساحر فى دهشة : صوت من هذا ؟

بالطبع فلم يكن بإمكانه معرفة صوت جدتى .. ولكننى ميزت صوتها على الفور ، إذ أنها جدتى أنا وليست جدته هو !!

لقد جاءت جدتى تبحث عنى ، ولابد أنها قلقت بسبب تأخرى فى العودة ، أو ربما كان قلقها بسبب أننى أخبرتها بذهابى لمحاربة ساحر شرير ، ولما لم يكن فى قريتنا غير هذا الساحر الهندى ، فقد جاءت تبحث عنى فى مكان إقامته دون أن تخشى شيئاً .. وهى التى انطلقت هاربة منه ومن ثعبانه الوهمى عندما شاهدته لأول مرة .. ولكن كل الجدات يصبحن فى غاية الشجاعة ، إذا كان هناك خطر يحيط بأحفادهن ، فيستطعن إيقاف قطار مندفع بأصبع واحدة لئلا يدهس أحفادهن .. وبعد ذلك يبحثن عمن يساعدهن فى عبور الطريق ، خشية أن تصدمهن دراجة أطفال طائشة !!

ومن المؤسف أن جدتى جاءت فى لحظة غير مناسبة ، إذ أن ذلك الساحر الشرير لم يكن يتوانى

عن أن يجعلها تلاقى نفس المصير فيضعها فى الحفرة معنا .. وبذلك ستضيق الحفرة بنا ، ولن نتمكن حتى من الرقود الأبدى فى راحة بسبب ضيق المكان !!

خطت جدتى إلى قلب المنزل مستندة على عصاها ، وما أن شاهدتنى حتى حدقت فىَ بدهشة ثم تساءلت متعجبة : ماذا تفعل هنا ، ولماذا تقف بهذه الطريق الغريبة كأنك تمثال من الملح ؟

وحدَقت فىَ بدهشة أشد ثم قالت : لابد أنه ذلك الساحر وقد أذاك وحولك إلى قطعة خشب .. أقسم أن أنتقم منه هو وكل حيواناته الغبية !

وهنا برز لها الساحر وهو يقهقه ساخراً وقال لها : حسناً .. فلترينى كيف ستنتقمين منى أيتها العجوز الشمطاء !

وهكذا ارتكب ذلك الساحر الأحمق خطأه الأول والأخير ، فما أن نطق بتلك الكلمة حتى أصاب جدتى غضب شديد ، إذ أن أى جدة عجوز لاتحب أن يدعوها أحد « بالعجوز الشمطاء » . فرفعت جدتى عصاها وانهالت بها ضرباً فوق رأس الساحر

صارخة : أيها الساحر الوقح .. إن لم تكن جدتك قد علمتك الأدب ، فسأفعل أنا !

صرخ الساحر وقفز هارباً من شدة الضربات المفاجئة .. فاندفعت جدتى خلفه هو وحيواناته ، التى اندفعت هاربة إلى حجرة الساحر وعصا جدتى تطاردهم كما لو كانت عصا ساحرة حقيقية قادرة على عبور القارات ، وليس الحجرات فقط !!

أتدرون ماذا حدث للجميع ؟؟

حسناً .. يا لجدتى البطلة !

لقد سقط ذلك الساحر وحيواناته داخل الحفرة التى حفروها لنا عندما تدافعوا أمام جدتى .. وكما يقول المثل « من حفر حفرة لأخيه وقع فيها » .. وهو ما حدث لهؤلاء الأشرار !

وراح الساحر يصرخ طالباً النجدة وحيواناته كذلك ، ولكن كلما رفع أحدهم رأسه محاولا الخروج من الحفرة ، جاوبته جدتى بضربة من عصاها !

وصاحت جدتى فى من مكانها : هيا أفق ياصغيرى.

وصفقت جدتى بيديها بقوة .. وفى الحال أحسست أننى أستعيد إرادتى وقدرتى على الحركة ، وحدث نفس الشىء لـ « سلمى » و « سالم » و « جمعة » ، كأنما كانت عبارة جدتى وتصفيقها هى أشياء سحرية حررتنا مما كنا فيه ، فاندفعنا إليها نقبلها ونحتضنها .

لقد تغلبت جدتى على هؤلاء الأشرار دون أن ترتدى قبعة الحرب .. ولكن الجدات يفعلن أحياناً أشياء مدهشة ، لايقدر عليها حتى الأولاد المغامرون !

* * *

استعاد « العمدة » وعيه ، واكتشفنا أن الساحر المحتال قام بتنويمه مغناطيسياً ، فأسرع إلى خزائنه ، فأتوا جميعاً إلى الحفرة وأخرجوا منها كل من كان فيها وقاموا بتقييدهم جميعاً كأسرى حرب !

وعندما ذهب « العمدة » بذلك الساحر مقبوضاً عليه إلى رجال الأمن ، ارتدى خصيصاً الحذاء ذا الرقبة الطويلة وجلبابه الفاخر ، وقال للمسئولين

أنه من اكتشف حقيقة الساحر المحتال وألقى القبض عليه . وبذلك منع تجريف الأرض الزراعية حماية لثروة البلاد !

والعجيب أنه طالبهم بمكافأة .. على حين أنهم لايعلمون أنه وقتها كان يغط فى نوم عميق (وليس هذا عجيباً ، فإن كثيرين من الموظفين يغطون فى النوم طوال وقت العمل ، وحالما يستيقظون يطالبون أول ما يطلبون بالمكافآت والحوافز !!)

أما بقية حيوانات السيرك ، فقد اشتراها صاحب سيرك آخر قال أنه سيهذب من طباع تلك الحيوانات ، وأنها حيوانات مسكينة لاذنب لها ، لأنها كانت تنفذ أوامر من قام بتدريبها .. ثم دفع ثمناً كبيراً فى القرد « ميمون » والكلب « سعدون » والحصان « حمدون » !

وبالطبع استعاد سكان قريتنا أموالهم ومحاصيلهم ومواشيهم ومنازلهم ، وقالوا أنهم لن يصدقوا بأمر هذه الأرواح الشريرة مرة أخرى ، ولو كنا نحن من يخبرهم بذلك !

أما ثمن بيع حيوانات هذا الساحر المحتال ، فقد

أعطيناها على سبيل التعويض لمن أضيروا مما فعلته تلك الحيوانات الخبيثة عندما تظاهرت أنها أشباح ، وهم عم « جاد الكريم » الذى فقد محصوله ، و « أم حليمة » التى احترق برج حمامها .. وعوضنا « العمدة » عن عنزاته الخمس الصغيرة بمائة جنيه ، باعتبار أن ثمن العنزة الصغيرة لايزيد على عشرين جنيهاً ، ولكن « العمدة » قال معترضاً : هذا المبلغ لايكفى ، لقد كانت عنزاتى هذه ستكبر وتلد عنزات أخرى والأخرى ستكبر وتلد عنزات أكثر ، فيكون المجموع لايقل عن مائة عنزة ، وإذا ما ذبحتها وبعتها لحصلت على عشرة آلاف جنيه ثمناً لها ، كنت سأشترى بها خمسمائة عنزة صغيرة كنت أقوم بتربيتها حتى تكبر وتلد مثلها .. لدرجة أن منزلى ولا القرية كلها كانت ستتسع لعنزاتى التى سيصبح عددها أكثر من كل الكلاب فى قريتنا ، فيكون التعويض الواجب لى فى هذه الحالة هو مبلغ مائة ألف جنيه بالتمام والكمال !!

وقفنا متحيرين أمام كلمات « العمدة » ..

فمن أين سنأتى له بمائة ألف جنيه على سبيل التعويض ؟

وهنا حسمت جدتى الأمر قائلة للعمدة : حسنا أيها « العمدة » .. عليك أن تنتظر خروج ذلك الساحر المحتال من السجن بعد أعوام طويلة ، ليعوضك عن عنزاتك الخمس بنفسه .. ويصفى حسابه معك !!

وهنا صرخ « العمدة » فى رعب وغادر المكان هاربا وهو يصيح : لاأريد شيئا .. ولا حتى ثمن العنزات الخمس !!

وهكذا تم حل تلك المشكلة بفضل ذكاء جدتى .. حتى أننا فكرنا فى أن نضمها إلى فريق مغامرات « جمعة وشركاه » !

وأعتقد أن الأمر هذه المرة ، لن يحتاج إلى إقناع جمعة بقطعة جاتوه !!

* * *

- تمت -

المغامرة القادمة
(٧)
الأميرة الأسيرة

كانت بداية المغامرة مجرد حلم رآه جمعة فى نومه .. أميرة أسيرة مختطفة وسط الجبال وتقوم بحراستها عصابة مخيفة من المجرمين .

وعندما ينطلق أبطالنا للبحث عن تلك الأميرة الأسيرة ينقلب الحلم إلى حقيقة .. ويتعرضون للموت وسط الجبال وعلى أيدى العصابة الرهيبة ..

فما هو سر الأميرة الأسيرة ؟

مغامرات جمجمة وشركاه

قصص ومغامرات بوليسية فكاهية

الساحر العجيب

- ترى ماذا كان سر ذلك الساحر العجيب الغامض القادم من الهند .. والقادر على قراءة الأفكار ومعرفة كل الأسرار بواسطة بلورته المسحورة .. وماذا كان سر حيواناته المدهشة ؟
- ولماذا حلت اللعنة على القرية .. وطاردت الأشباح أبطالنا . وكيف وقع جمعة أسيرا فى أيدى الأشباح ؟
- كل إجابات هذه الألغاز المثيرة .. ستقرأها فى هذه القصة .

الناشر

ميدالية

المحدودة